عمر لطفي النجار

المساجد والمعابد

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ المقدمة:

مذ عرف الإنسان الخوف، مذ أدرك فضل الطبيعة على بقائه، مذ كان له أحلاماً يرى فيها الكائنات وهو نائم، تكون له الاعتقاد بوجود كائنات غير منظورة، فطلب منها العون، وحاول إرضاءها بكل شيء ظنه من وسائل الرضا، ابتداءً بالتنازل عما يملك انتهاءً بالقرابين البشرية.

في مراحل الإنسان الأولى كان الكهف هو المعبد والمسكن وكانت الرسوم تعبِر عما يجيش بصدره من عقائد، وتطور الأمر حتى كانت المعابد التي تسكنها الآلهة، وأصبح المعبد نواة المدينة التي هي ملك للإله، وما الملوك والكهنة إن حكموا إلا بأمره أو نيابة عنه أو لخدمته وإلا فلا مبرر لوجود الإنسان على الأرض.

في هذا البحث لم أنظر للجزئيات المميزة لتاريخ المعابد من الناحية الفنية للبناء أو النحت أو الرسم، وكل ما قصدت إليه هو التحديد بالقاسم المشترك لمعابد ما قبل الإسلام مقارنة بالمسجد، الذي يمثل الذروة في التطور التاريخي والحضاري عند البشر.

العقائد الوثنية تعتمد على مبدأ الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والمساواة بين الجزء والكل عن طريق التشابه، ومن هذه المبادئ كانت التماثيل التي تحل فيها الآلهة، وكان الشامان أو الكاهن أو الولي الوثني الذي يتحد بالإله، ومنها كان التنبؤ والسحر والتنجيم، والمعبد بالنتيجة هو الممثل العملي لتلك المبادئ.

ـ طقوس بناء المعابد:

المعبد وطالما هو مكان سكن الإله وحضوره، فلا بد لـلإله فيه من رأي، بل هو الذي يزوِّد الإنسان بمخطط بنائه وموقعه ومتى يبدأ البناء " فالملك البابلي كوديا، رأى في الحلم الإلهة فيدايا تُطلعه على لوح كتب عليه النجوم السعيدة، وإله يريه تصميم المعبد "[1].

مكان المعبد يجب أن يكون مقدساً، وليس يبنى بأي مكان كان فالمعبد " يتحدد قبل كل شيء كفضاء مقدس معزول عن الفضاء الدنيوي الذي يحيط به "[2] سور. " وتؤكد الأبحاث الأثرية والنصوص السماوية انه كان يوجد في وسط كل مدينة سومرية قطاع مقدس تيمينوس، وهو مكان مسور خصيصاً ومفصول عن غيره من الأبنية، وفيه تتركز معابد أهم الآلهة وقصر الحاكم، وحول التيمينوس كانت تتجمع أحياء البيوت السكنية للجمهور الأساسي في أهالي المدينة "[3] وفي مدينة " أور " " كان وسط المدينة يشغله قطاع مقدس كبير

---

[1] ـ ص ٥٨ المقدس والدنيوي

[2] ـ ص ٦ المعبد السوري

[3] ـ ص ٧٤ المدن الأولى

يضم معابد وهياكل إله القمر نانا ــ حامي أور، ومساكن الكهنة والمستودعات والمشاغل وقصور الحكام، وكانت الأحياء السكنية تتزاحم حول " التيمينوس""[1]، وتعاقُب بناء المعابد من جهة أخرى على نفس القطاع من الأرض، معناه أن هذا المكان مقدس ففي موقع أريد وللفترة العبيدية ٤٥٠٠ــ ٣٥٠٠ ق.م " اكتشف تحت إحدى زوايا الزاقورة سلسلة مدهشة من ١٧ معبداً تعاقبت في هذا المكان على التوالي منذ أقدم الأزمنة "[2] ولولا أنه مكان مقدس ومخصص بتحديد إلهي للمعبد ما كان للتعاقب من معنى.

وقد يكون المقدس لأمر ما مقدس، فمدفن الأسلاف مقدس والمعبد لا بد فوقه، وقد اكتشف عند قبائل" المايا " وجود مدفن تحت المعبد، و"يوجد في جملة من مدافن بالينكي تصميم خاص، وهو" قناة الروح له شكل أنبوب حجري ضيِّق يؤدي من المدفن إلى الأعلى، إلى أرض بناية المعبد، وفي حالات أخرى تصل سلالم داخلية بين المدفن والمعبد لإقامة اتصالات مباشرة بين الأحياء وروح الميت الوجيه

---

[1] ـ ص ٨٨ نفسه

[2] ص ٧٤ المدن الأولى

المدفون في الأسفل، فـي ضـريح تحـت الأرض"[1]." فالمعابد المركزيـة لأغلبيـة مـدن المـايا في الألـف الأول ق.م كانـت فـي حـالات كثيـرة جداً، وربـما دائمـا، منشـآت تذكاريـة علـى شـرف الملك المتـوفى أو أسـلافه "[2] وقـد يـكـون المقـدس لتـحديد مـكان مقدس حسبما ترويـه أسطورة مـن الأسـاطـير، وفـي الاعتقـاد البـابلي أن بابل " مشيدة علـى " بـاب أبسو " و" أبسـو" كلمـة تـدل علـى ميـاه العمـاء قبـل الخلـق "[3] حسـب أسـطورة الخلق.

ولا بد من الطالع السعد عند بـنـاء المعبـد، فالـجامـع الأمـوي كـان كـنـيسة وكان قبل الكنيسـة معبداً اسمه" معبد جـوبيتر" " وقـد كـان بنـي على اسم المشتري وطـالع سـعد "[4]. فاليونـان كمـا يقول ابن عسـاكر قد " مـكثـوا يـأخـذون الطـالع لبـنـاء دمـشق وهـذه الأمـاكن ثمـاني عشـر سـنة، وقــد حــفـروا أســاس الجــدران حــتى واتــاهم الــوقت الـذي طلـع فيـه

---

[1] - ص ٢٢٣ نفسه

[2] - ص ٢٤٤ نفسه

[3] - ص ٤١ المقدس والدنيوي

[4] - ص ٢٥١ مروج الذهب

الكوكبان لكيلا يخرب المعبد أبداً ولا تخلو منه العبادة "[١]. وفي الهند قبل أن يُرسي البناؤون الحجر الأول، يدلهم المنجِّم على نقطة الأساسات التي تقع فوق الثعبان الذي يسند العالم ـ بحيث يكون موقع حجر الزاوية في " مركز العالم " تماماً "[٢].

ومن طقوس حماية المعبد من كل آفة قد تحدث عليه " جرت العادة وضع التعاويذ في أساس كل هيكل جديد، عند مدخل الايماه، في مشكاة مبنية في ستة قرميدات "[٣] ولحمايته من الآفات والأضرار المحتملة أو المنقِّرة، كانت الإستعامة بالطلسمات فمعبد ما قبل الأموي " كانت فيه طلسمات في أيام اليونان، لئلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية، لا من الحيات ولا من العقارب ولا الخفافيش ولا العناكب ولمنع العصافير أيضاً أن تعشش فيه والحمام، وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودوعة في سقف هذا المعبد "[٤] ومن أجل البركة والحماية " كانوا قبل شروعهم بالبناء يقومون ببعض المراسم

---

[١] ـ ص ١٤٣ ج٩ البداية والنهاية

[٢] ـ ص ٥٤ المقدس والدنيوي

[٣] ـ ص ١٦٩ بلاد ما بين النهرين

[٤] ـ ص ١٥٠ ج٩ البداية والنهاية

الدينية، فإذا مضوا به، وضعوا في ركن من تحت أحد جدرانه أو تحت بلاطة من أرضه أصناماً صغيرة أحجبة ورقي وما أشبه ذلك"[١].
وفي معابد عصر البرونز ٢٨٠٠ ـ ٢٧٠٠ق.م كانت توضع" في زوايا المعبد مسامير تأسيسية اقترنت بكتابة تخلد البناء وتباركه وتذكر بانيه والرب المخصص له المعبد "[٢] وفي الصين " لا تصبح هذه الأبنية المقدسة صالحة للعبادة إلا بعد تكريس يلعب فيه دم الذبائح دور السائل المقدس "[٣] فدم القرابين هو الذي ينفخ الحياة في المعبد، " وفي الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا ــ تكون التضحية بامرأة معلِّم العمار، لكي يمكن إنجاز المبنى "[٤] وكذا الحال عند ترميم معبد من المعابد في بابل " فعندما كان يعمد مثلاً إلى ترميم هيكل متهدم، كان " الكالو" هو الذي يقرب خمس ذبائح للآلهة الخمسة، وينشد المراثي المدعوة إرشما، بعد أن يكون العراف قد استبان مشيئة الآلهة، ثم يقرب ثلاث ذبائح لإله الهيكل وزوجته الإلهة، وعند انبثاق الفجر

---

[١] ـ ص ٢٠٤ بلاد ما بين النهرين

[٢] ـ ص ١٢٣ أثار الوطن العربي القديم

[٣] ـ ص ٥٩٩ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

[٤] ـ ص ٥٥ المقدس والدنيوي

كان يعود فيقرب ثلاث ذبائح لكبار الأبعال: آنو وإنليل وإيا، ويختم هذه الحفلة التمهيدية بنشيد: يوم أبدع آنو وإنلـيل وإيـا السـماوات والأرض، أمـام لـوحة تـأسـيـس الهيكل القديم ـ ويستمر الكـالـو في تـقـديم القرابـين وإنـشاد المراثي حتى ختام البناء"[١].

ـ **ضخامة المعابد:** إن للمعبد وظائف شتى، وكهنته كثر ومهامهم أكثر، حتى أرسطو نادى بوجوب ضخامـة المعبـد حيث يقـول:" الأبنـية الـمخصصة للحفلات الدينية يجـب أن تكـون مـن الـضخامة عـلى ما يـنبـغي أن تـكون [٢].

وقـد تطـلب بنـاء المعبد الأبيض في أرك ٣٥٠٠ــ ٣١٠٠ ق. م " وفـق حسـابات الـعلـماء ٧٥٠٠ إنـسان عـلى امـتداد سـنة كامـلة "[٣]. ومـعبد أبـولـون عـنـد الإغريق في موقع سلـينونت " بـدء بـتـشيـيد هـذا المعبد في النـصف الثـاني من القرن السـادس ق.م، واسـتمر إنشاؤه فترة طويلة جداً بلغت ثلاثمائـة سنة "[٤] و"معبـد زيـوس قد استمر بـنـاؤه مائـة

---

[١] ـ ص ١٧٤ بلاد ما بين النهرين

[٢] ـ ص ٢٦٩ السياسة

[٣] ـ ص ٥٤ المدن الأولى

[٤] ـ ص ٦٦ الآثار الكلاسيكية

وأربعين عاماً ٥٨٠ ــ ٤٤٠ ق.م "[1] والمعبد دوماً أضخم من مساكن العامة، ففي الفترة العبيدية ٤٥٠٠ــ ٣٥٠٠ ق.م " كان الناس يعيشون في أكواخ حول المعبد "[2].

ـ **تماثيل الحراسة:** ولحماية المعبد من أعدائه وممن تسَّول لهم أنفسهم الاعتداء عليه وعلى أملاكه، ومن أجل الهيبة والوقار كانت تماثيل الحراسة، ففي معبد عين دارا الآرامي " الدرج يحرسه أسدان برأس امرأة وجناحي طائر، وخلفهما من كل جانب أسدان متقابلان، يلتفتان نحو اليمين ونحو اليسار، وجميعها يرقُب كل زائر للهيكل "[3].

والأشوريون استخدموا " الثيران الهائلة المجنحة ذات الرأس البشري التي نحتت على الحجارة الكبيرة "[4] أمام الأبواب لحمايتها".

وأهم ما يميز الأشوريين أيضاً هو اللماسو وهي كائنات خرافية تألفت من جسم ثور أو أسد ومن رأس إنسان وجناح نسر ـ.

---

[1] ـ ص ٦٧ نفسه

[2] ـ ص ٤٩ المدن الأولى

[3] ـ ص ١٨٧ الآرامية

[4] ـ ص ٢٢٤ معالم حضارات العالم القديم

فظهر هذا الكائن واقفاً بقوة، له خمس قوائم، ليبدو وكأنه في حركة دائمة سواء نظرنا إليه من الأمام أو من الجانب، وقد وضعت هذه التماثيل على مداخل المدن والقصور والمعابد لتضفي القوة والهيبة على الداخلين إليها "[1] أو حمايتها. وفي معبد داغان في مملكة ماري أسدان "يحرسان داخل الباب، إذ يلتفت جسماهما نحو الممر وقد فغرا فاهاهما بشكل مرعب ـ ولا ننسى أن نضيف إليهما أيضاً قطيع الأسود المنتصب في الخارج"[2] وعند مدخل معبد تنهورساغ "تمثالين لأسدين من الخشب المطلي بالقار الملبس بالنحاس، عيونهما منزلة بأحجار نادرة، يحرسان المدخل"[3] وفي معبد دجن "الأسود البرونزية التي كانت تربض على أبوابه، إذ صورت هذه الأسود وهي تقف منتصبة القامة فاغرة الفاه جاحظة العينين، تثير في أعماق الداخل إلى المعبد أشد الرهبة والخشوع "[4] وفي اليابان عند البوذيين " يحرس مدخل المعبد، عادة تماثيل منفردة ذات وجوه عابسة، يعتقد أنها تمنع

---

[1] ـ ص ٣١٨ آثار الوطن العربي الكبير

[2] ـ ص ١٠٧ ماري

[3] ـ ص ١٤٣ آثار الوطن العربي الكبير

[4] ـ ص ٢٢٨ نفسه

الشر "[1]. وخلاصة الفكرة في تماثيل الحماية أنها تعتمد على مبدأ حلول الأصل بالشبيه فتمثال الأسد سيجعل قوة الأسد حالة فيه وبهذه القوة يتم الدفاع عن المعبد، والكهنة بالطبع كان لهم القدرة على إقناع الشعب بحقيقة هذه الفكرة. أما من الناحية العقلية وإن قلنا بانعدام التفاوت العقلي بين سياسيي الحاضر وإنسان الماضي، فضخامة التماثيل وبما تعبر عنه من حضور القوة، إنما لتذكير الداخل إلى المعبد بأنه ضعيف إن فكر في الاعتداء عليه، والأْولى لضعفه أن يطلب العون منه أو من الإله الساكن فيه فالخشوع ضرورة لا بد منها للمتعبد التقي، وهل لإنسان ألا يخشع لجبروت الأسد وقوته، أو لقدرة الثور المجنح وما شابه؟!

ـ **المعبد بيت الله:** المعبد بيت الإله لا بالمعنى المجازي أو الأدبي بل هو بيته بالمعنى الوجودي أو الحقيقي، فلكل معبد تمثال للإله الذي بُني المعبد لخدمته، وتمثاله يعتبر العنصر الأهم في بنية المعابد الوثنية "وأهم ما في المعبد الروماني، الهيكل الذي يوضع فيه تمثال الإله، الذي لا يدخله إلا الكاهن، أما المصلون فيطوفون حول المعبد فقط "[2] فالمعابد

---

[1] ـ ص ٣٥٩ المعتقدات الدينية لدى الشعوب عـ١٧٣ عالم المعرفة

[2] ـ ص ٤٤٩ معالم هنارات العالم القديم

هي بيت الرب، هذا المفهوم هو السائد في العالم القديم كله، ففي لا غاش من بلاد سومر، معبد نينغيرسو هو الـ " آي ـ نينو" أي بيت، وأطلق الأكاديون على مقر الأرباب اسم " آي ـ نينو " أي بيت الإله "[١] والمعبد عند اليونان إنما يبنى " ليكون قصراً لتمثال الإله وكنوزه، أما المصلون فكانوا يطوفون عادة حول المعبد"[٢].

و" تعتبر المعابد في مصر بيوتاً للآلهة "[٣] كما " اعتقدوا أن الإله يسكن التمثال الذي يعد له، ولم يكن المعبد المصري مكاناً لاجتماع المؤمنين بل مقراً لسكن الإله في عزلة عن الناس الذين يمكنهم أن يزوروا الأبهاء الخارجية دون الدخول إلى قدس الأقداس "[٤] أي إلى المكان الذي فيه تمثال الإله.

وكان سكان سوريا القدماء، يطلقون على المعبد اسم بيت إيل، أي بيت الله "[٥]، وإذا كان المعبد هو البيت الذي فيه الإله، فقد وجد هذا

---

[١] ـ ص ٧٠ ماري

[٢] ـ ص ٤٠٦ معالم حضارات العالم القديم

[٣] ـ ص ٥٧ نفسه

[٤] ـ ص ١٨٩ محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم

[٥] ـ ص ٥٢ الأصول الكنعانية للمسيحية

المعنى عند العرب " ولم تخرج معابد اللات في الطائف، وود في وادي القُرية، ودومة الجندل، وذي شعر في البتراء، ومناة في وادي قديد عن كونها حرماً مقدساًَ، وبيوتاً بالمعنى الأصلي للكلمة ـ. فالإله يقيم في معبده بشكل حسي ـ. ويشير اسم العلم " المعبود الصغير" إلى عادة تمثيل الآلهة "[١]. وقد يوضع تمثال الإله في " المحراب "[٢] وقد يكون المحراب مجوفاً ذا حنية كالذي وُجد في " الصنمين "[٣] وقد يكون " على شكل نضوة الفرس"[٤] وقد يوضع للإله في " الحجرة المعدة مسكن التمثال أي الإله نفسه، وهي غارقة في ظلام دامس ـ. ولا يستطيع سوى كائن بشري واحد هو الملك أو مفوضه أن يفضّ الخاتم الغريني الموضوع على باب الحجرة ويدخلها ويحتفل بمراسم العبادة "[٥] وقد يوضع التمثال المعبود في الحرم، وعندها " يعتبر هذا القسم الأكثر

---

[١] ـ ص ٨٥ تاريخ ثمود

[٢] ـ ص ١١٠ آثار الوطن العربي القديم

[٣] ـ ص ٦١ المعبد السوري

[٤] ـ ص ٦٨ نفسه

[٥] ـ ص ١١٦ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

قدسية في المعبد " قدس الأقداس " "[1] وقد يوضع في قاعة بوسط المعبد كما عند اليونان " قاعة في الوسط يوضع فيها التمثال "[2]. وفي معبد مردوخ مصاطب بلغ ارتفاعها حوالي ٩٠ م، على قمتها كان معبد مردوخ المزخرف بالمعادن الثمينة، وفيه تمثال هذا الرب العظيم، الذي كان ينقل عبر طريق المراسيم إلى معبده الأرضي أثناء الاحتفالات "[3].

وعند المصريين " يخصص للإله مكان، يجد فيه الراحة والطمأنينة، أي أن يقام له معبد أو هيكل، وفي هذا المعبد يجعل له مكان ينظر منه: صورة أو صنماً، ليس الصنم بالإله، إن هو إلا وسيلة من الحجر أو الخشب أو المعدن تتيح له المثول للعيان. وقد قال المصريون ذلك نصاً في إحدى قصص الخليقة: فقد ناب الإله الخالق عن الآلهة الأخرى و" صنع أجسادهم وفق رضاهم، فدخل الآلهة أجسادهم من كل نوع من الخشب، من كل نوع من الحجر، من كل نوع من الجبس، واتخذوا لأنفسهم بها شكلاً.

---

[1] ـ ص ١٢٣ آثار الوطن العربي

[2] ـ ص ٣٠٢ تاريخ الحضارات العام

[3] ـ ص ٣٣٦ آثار الوطن العربي القديم

فهذه التماثيل إنما هُيئت لتكون أمكنة لهم يتخذون فيها شكلاً تراه العين، وعلى هذا النحو قد يرتاح الإله آمون حين يأوي إلى تمثال في شكل إنسان أو كبش انتُقي خصيصاً له، أو إوزة انتقيت خصيصاً له، وهو يبقى في ذاته ولا يماثل الشكل الذي يظهر فيه للعين، غير أنه يتقمص كل يوم شكلاً يختلف باختلاف الغاية من ظهوره، كأنه إنسان له منازل شتى وأثواب متباينة ـ ومع ذلك فإن التمثال أو الحيوان، بمعنى آخر تمثيل للإله، أو الإله بنفسه، أي أن الإله يحضر في مكان ظهوره كلما جعلته مهمته هناك، وتجعله مهمته هناك عندما يدعوه فعل العبادة أمام التمثال إلى الحلول فيه، ولذا فإن التمثال ينوب عن الإله كلما خاطب المتعبد التمثال، وبهذا المعنى يكون التمثال هو الإله وفق ما يقتضيه غرض العبادة "[1] ولحضور الآلهة إلى المعبد، كان للمعبد فتحة في أعلاه تسمى " عين المعبد "[2]، والبعض جعل هذا الاتصال عن طريق " العمود المقدس "، واليهود جعلوا في معبدهم ممراً خاصاً لدخول الرب إلى بيته.

---

[1] ـ ص ٨١ ما قبل الفلسفة

[2] ـ ص ١٦٥ المقدس والدنيوي

فالمعبد إذاً بيت الإله ومسكنه، وهو بيت راحته فيه يأكل ويشرب وينام، والكل في خدمته، ومن طلب عوناً منه فعن طريق الكهنة، فمنه أو تمثاله تُؤخذ الاستشارات ويُعرف المستقبل ويُطلب المدد والنصر على الأعداء. ولا علاقة مباشرة للمواطنين بإلههم وما عبادتهم إلا قرابين وطواف حول المعبد " إن هدف العبادة الرئيسي هو إرضاء الإله، بتغذيته وذلك بتقدمة المأكل والأشربة التي تقررها الكتب الطقسية، في ساعات محددة وأكثر من مرة في اليوم، على طاولة مقدسة أمام الصنم الإلهي وسط الأزاهير وأدخنة البخور وسيول من الروائح العطرية، وقد سمحت كثرة ذبائح الحيوانات المنتخبة الاحتفاظ يومياً بأحسن الأجزاء للإله، وإذا كان يحب التنوع في الطعام قدموا له لحوم حيوانات داجنة وبرية وطيوراً وبيضاً وأسماكاً وتموراً، وثمار عنب وتين، وعسلاً وماء وجعة وخمراً وحليباً ـ فالذبيحة تطيل العمر، والصلاة تطهر من الإثم "[1] وما أكثر المناسبات التي تطالب المؤمنين بالقرابين والتقدمات كبرهان على التقوى وحسن الاعتقاد: وفي بلاد ما بين النهرين وكذلك غيرها " توضع ضحايا المؤمنين عادة على مذبح القرابين الموجودة في

[1] ـ ص ١٦٨ تاريخ الحضارات العام

باحة المعبد، فيأكل الكهنة وخدام المعبد القسم الأكبر من اللحم أو الخبز أو غيره من المنتوجات المقدمة للآلهة "[1]. حتى اكتفى الكهنة أخيراً بتقديم الأمعاء والشحم للإله، ليأكلوا هم كل ما لذ وطاب، وها هو الملك البابلي الشهير نبوخذ نصر يحدثنا عما يهبه للإله مردوخ كل يوم، يقول: " لقد أمرت بأن يُحضَّر كل يوم على مائدة مردوخ والساربانيتو: حيوانان سمينان، ثور كبير ـ أربع وعشرين نعجة سمينة، حيوانات نقية للتضحية تكريماً لآلهة بابل، أربع ديوك، عشر حمامات، ثلاثة رؤوس من الثوم، كمية من سمك المياه العذبة، ورود المروج، كميات كبيرة من الخضار، محاصيل الحقول وفواكه ـ بلح وصبار، تين أبيض، عسل مصفى، بيرة خفيفة، زبدة وقشطة وحليب، أصفى أنواع الزيوت، دقيق أسمر ذهبي، عصير السمسم، نبيذ مشع، كل ذلك أمرت بإحضاره كل يوم على مائدة مردوخ والساربانيتو "[2].

---

[1] ـ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ معالم حضارات العالم القديم

[2] ـ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ نفسه

ـ المعبد لأكثر من إلـه:

لا إله واحد بالمعنى السياسي لكل الدولة، " فلكل مدينة إله أو آلهة، وهي تعتبر نفسها ملكاً له أو لها ـ وهكذا في بلاد ما بين النهرين " آنو " هو بالدرجة الأولى إله " اوروك "، " إنليل " رب نيبور، و" نرغال " معبود كوتا، و" سن " سيد أور، وشمش رب مدينتي لاغاش السومرية وسيبار الأكادية "[1] بل ولكل شيء إله يخصه، حتى إله المرفأ أقام له الرومان معبداً خاصاً به في القرن الأول قبل الميلاد " كان مخصصاً لعبادة إله المرفأ النهري بورتونوس "[2] ومعبد سبيترونيوم شيدوه " تكريماً لآلهة أيام الأسبوع السبعة "[3].

وطالما المعابد ذات كلفة عالية وطالما الآلهة والإلهات كثر، أصبح المعبد لأكثر من إله، وفي بايستوم عند الإغريق معبد " بني في القرن السادس ق.م ـ ببهوين متساويين يفصل بينهما صف من الأعمدة ـ حيث كان مخصصاً لعبادة إلهين معاً "[4]. ومعبد جوبيتر الذي افتتحه الرومان

---

[1] ـ ص ١٦٦ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

[2] ـ ص ٦٠ الآثار الرومانية

[3] ـ ص ١١٠ نفسه

[4] ـ ص ٦٦ الآثار الكلاسيكية

عام ٥٠٩ ق.م " مقسم إلى ثلاثة أقسام: أوسطها مخصص لعبادة كبير الآلهة جوبيتر، والحجرتان الجانبيتان لعبادة كل من الإلهة يونو زوجة جوبيتر، ومنيرفا إلهة الحكمة، أي إننا نجد فيه ثالوثاً إلهياً، كما كان الحال في المعابد الاتروسكية "[١] وأخيراً بنى الإمبراطور الروماني هدريان ١١٧ـ ١٢٥م معبد البانثيون في روما وقد خصصه " لجميع الآلهة "[٢].

ـ **خوارق التماثيل:** إنه لأمر محير بالفعل، فالإنسان القديم هذا الذي أنشأ الدول والمدن وبنى الترع والسدود والقصور الضخمة والأهرامات على علم بالهندسة والإدارة والتنظيم، نراه وقد عبد الوثن والصنم والحيوان وعناصر الطبيعة، فهل كان هذا كله بلا برهان يوجب العبادة أو التقديس، ولكن هناك الكثير من الشذرات تتضمن هذا البرهان وليس بالضرورة تصديقها، فعن تمثال حمنون في طيبة يقول سترابو: " كان يصدر عنه عند الفجر صوت كان يستطيع تمييزه الكثير من

[١] ـ ص ٥١ الآثار الرومانية

[٢] ـ ص ١٠٩ نفسه

الزوار"[1]. ومعبد هيبرابوليس، حسب مذكرة الملك السلوقي:" وإذ يكون المعبد مقفلاً، يصدر صوت عظيم من داخله، وكثيرون هم الذين سمعوه"[2]، ولما كتب دمسكيوس حياة ايزيدوروس، قال: عوسيب كان كاهناً لصنم مجهول، أتاه الإلهام فجأة " وبشكل غير منتظر، لكي يمضي بعيداً جداً عن مدينة إميس " حمص "، نحو الجبل، حيث يرتفع هيكل أثينا المجيد، وعندما وصل إلى سفحه رقد هناك، عندها رأى فجأة كرة من نار تنحدر قافزة، وأسد كبير الحجم إلى جانبها، وسرعان ما اختفى الأسد، فركض عوسيب نحو الكرة، إذ كانت نارها تنطفئ، وأخذها بيده ولم تكن شيئاً آخر غير الصنم، وهكذا استحوذ على الصنم وسأله إلى أي إله هو، فأجابه أنه ينتمي إلى جينيوس ـ فحمله عوسيب إلى داره التي وصلها في نفس الليلة رغم بعدها مائتي وعشرة مراحل "[3]. وحتى الفصل بين الخصومات التي من بينها الحكم على الزناة والسراق كان يمرر المتهم بين حجرين فإن كان بريئاً فلا أذى عليه وإن كان زانياً أو

---

[1] ـ ص ٢٠ مصر الفراعنة

[2] ـ ص ٣١ الحياة الدينية في سوريا

[3] ـ ص ٣٩ آلهة الثالوث المقدس

سارقاً أو قاتلاً فضح أمره، ولحس الحديد المحمى بالنار لنفس الغرض، معروف ومألوف، وعلى ذمة الرواة " كان لحمير بيت أصنام بصنعاء يقال له رئام ـ يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح، وكانوا كما يذكرون، يُكلِّمون منه "[١]. والعُزى التي بني عليها " بيتاً كانوا يسمعون فيه الأصوات "[٢]. وعن ابن عباس أن العُزى " شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة"[٣].وعن الأصنام التي تكلمت بمجيئ محمد ﷺ رسولاً من الله كثيرة، وقد روى أبو نعيم عن مازن بن العضوب سادن سمايا الصنم، انه قال: " فعترنا يوماً عند الصنم عتيرة، وهي الذبيحة، فسمعت صوتاً من الصنم يقول: يا مازن اسمع تُسرُّ، ظهر خير وبطن شر، بُعث بنبي من مضر، بدين الله الأكبر "[٤] والعباس بن مرداس يقول: " جئت وثناً لنا يدعى الصنماء وكنا نعبده ونُكَّلم من جوفه، فكنست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته، فإذا صائح من جوفه يقول: قل للقبائل من سليم كلها هلك

---

[١] ـ ص ٢٠٢ ج٢ بلوغ الأرب

[٢] ـ ص ٢٠٣ نفسه

[٣] ـ ص ٢٠٤ نفسه

[٤] ـ ص ٣٣٧ ج٢ البداية والنهاية

الصنماء وفاز أهل المسجد "[١]. وورقة بن نوفل يقول: " أني ليلة قد بت عند وثن لنا كنا نطيف به ونعبده. إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

"ولد النبي فذلت الأملاك ونأى الضلال وأدبر الإشراك "[٢]

وروى ابن عساكر عن زمل بن عمر العذري، قال: كان لبني عذرة صنم يقال له حمام ـ وكان سادنه رجلاً يقال له طارق ـ. فلما ظهر رسول الله ﷺ سمعنا صوتاً يقول: يا بني هند بن حرام، ظهر الحق ـ يا طارق بعث النبي الصادق "[٣]، " وعن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه، قال: كنا عند صنمنا سواع، وقد جلبنا إليه غنماً لنا مائتي شاة قد أصابها جرب، فأدنيناها منه نطلب بركته، فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادي: قد ذهب كيد الجن، ورمينا بالشهب لنبي اسمه أحمد "[٤]. وراشد بن عبد ربه سمع صوتاً من صنم سواع بالمعلاة تدين له هذيل وبنو ظفر بن سليم يبشر بصدق النبي فذهب إلى النبي وأعلن إسلامه "[٥] وربط الإلهام عند

---

[١] ـ ص ٣٤١ ج٢ نفسه

[٢] ـ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ نفسه

[٣] ـ ص ٣٤٧ نفسه

[٤] ـ ص ٣٥٠ نفسه

[٥] ـ ص ٣٥٠ نفسه

الشعراء العرب بالجن ظاهرة معروفة بل وللجان أشعار كثيرة "[1] وقد كانت العرب تعتقد أن الجان وسطاء، يمكن استخدامهم للاتصال بالسماء، وإستراق أخبار الغيب ـ كما كانوا يعتقدون أن الجان تحل في الأصنام، وتكلم الكهنة والعرافين "[2] وقد قال الجاحظ: " وفي بعض الرواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان، همهمةً ـ وما أشك أنه كان للسدنة حيل وألطاف لمكان التكسب "[3]. فالجن عند العرب هي نفسها الآلهة والإلهات في الحضارات القديمة، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم! " **بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** " وليس الجن على علاقة بهذا الأمر فقط، بل وللملائكة هذا الدور حسبما يقوله الله في كتابه من قصة السامري مع العجل الذهبي ذي الخوار وببرهان الخوار زعم أنه هو الإله: " قال بصرت بما لم يبصروا به " أي رأيت جبرائيل وهو راكب فرساً " فقبضت قبضة من أثر الرسول " أي: من أثر فرس جبريل ـ فلما ألقاه في هذا العجل المصنوع من الذهب

---

[1] ـ ص ٣٦ – ٣٧ أخبار الزمان

[2] ـ ص ٨٥ المجادلة الحضارية

[3] ـ ص ٤٥٧ ج٦ كتاب الحيوان

كان من أمره ما كان " أي كان الخوار عنه " ولهذا قال:" فبنذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس " وهذا دعاء عليه بأن لا يمس أحداً، عقاباً له على مسه ما لم يكن له مسه "[1].

وقد اختلف المفسرون حول لفظتي " السامري" " سامري" فقال بعضهم هو اسم له ونسبه بعضهم إلى السامرة حتى كان انتقاد القرآن لأن السامرة لم تبنى إلا بعد خروج موسى من مصر بزمن بعيد والصواب أن اللفظتين لا تعنيان المدينة إنما هي لغة على فرقة كانت تعبد العجل في مصر، وعلى كل حال فإن العبرة ليست في هذه الجزئيات التي تثير التساؤل المغلق الإجابة إنما هي في عدم عبادة الأوثان أو الأصنام أو التماثيل حتى لو صدرت الأصوات والكلام منها بواسطة الملائكة أو خواصهم، ولهذا حرق موسى العجل وذر رماده في البحر بعد أن كذبهم في زعم ألهويته.

فالبرهان إذاً سماع أصوات من التماثيل أو الأصنام، والمتكلم هو الإله أو الجن الذي يحل فيها، بل وهنالك الكثير من البراهين الناتجة عن الحيل العلمية التي يملكها الكهنة، فعلى سبيل المثال إن تمثال ربة الينبوع

---

[1] - ص ٢٨٧ – ٢٨٨ ج١ البداية والنهاية

في مملكة ماري صمم على استغلال فكرة الأواني المستطرقة ليظهر خروج الماء وكأنه خروج من ذات التمثال " وهكذا يرى المؤمنون بأم أعينهم في بعض مناسبات الأعياد، المعجزة التي تتكرر وفق مشيئة المشرفين، وهي مشهد ربة تريق بسخاء سائل الخصب والحياة "[١] والأيقونات في الكنيسة تقوم بنفس الدور الذي تقوم به تماثيل الآلهة والآلهات في المعابد، فمعجزاتها كثيرة، وأيقونة العذراء في دير صيدنايا تتجسد "[٢] ولها عيد لتجسيدها " عيد تحولها إلى لحم ودم "[٣]. فقد " استحالت بقدرة الإله الفائقة من عند ثدييها إلى رأسها، وكان ينضح منها زيت يشفي من يتدهَّن به من كل مرض ـ حتى قال المعلم أرنولدس: إن هذه الآية أفادت كثيراً في إثبات دين المسيح في الجهات الشرقية وردَّت مضَّرة أعداء إيمان المسيح عن المسيحيين "[٤]. ولهذه الأيقونة التي زعم أنها من رسم لوقا البشير " قوات عظيمة في كل وقت من شفاء الأمراض والأسقام، وكم من أعمى أبصر، وأصم سمع، وأخرس نطق ـ.

---

[١] ـ ص ١٢٦ ماري

[٢] ـ ص ١١٠ خبايا الزوايا

[٣] ـ ص ١٢٦ نفسه

[٤] ـ ص ١٢٧ نفسه

تشفي كل الأمراض وتقضي كل الحوائل "[1] ولها " حَيْل " زيت أو عرَق " من يأخذ منه بأمانة - يكون له منجى ومخلِّص من كل الأمراض والأوصاب وسائر العاهات "[2] ومن معجزات هذه الأيقونة أنها " هي التي منَّت على القديس يوحنا الدمشقي المعروف بابن سرجون بشفاء يده والتئامها بعد أن أمر الخليفة الأموي بقطعها "[3] ولأهمية ما يفعله الزيت الذي يقطر من الأيقونة " وضعوا تحت صندوق الأيقونة جرناً صغيراً من الفضة لجمع ما يرشح من الزيت المقدس الذي يزعمون أنه يسيل من الأيقونة المخبوءة "[4] " ومعين هذا الزيت لا ينضب مهما أُخذ منه - لا يخف ولا يجف "[5]، ومن الطرائف التي تعلو على وقائع التاريخ وجود صورة في كنيسة السيدة " بجانب صورة القديس يوحنا المعمدان تمثل رجلاً من المسلمين بعمامته وفروته الخضراء، تمثل الملك الظافر بيبرس أو الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي، على أنه مرض "

---

[1] - ص ١١٣ نفسه

[2] - ص ١٢٠ نفسه

[3] - ص ١٣٣ نفسه

[4] - ص ١٣٩ نفسه

[5] - ص ١٤٥ نفسه

فنذر للعذراء خمسين كيلة زيت لايقاد مصابيحها، لما شفته من مرضه، فحفظت صورته تذكاراً لهذا الشفاء "[1] وبناءً على هذا الدور المعجز للأيقونات أصبح يُتعبَّد لها"[2] والسجود لها "[3] " ركعاً وسجوداً"[4]

إلا أن زائراً فرنسياً سنة ١٤٣٢م قال لما زار الأيقونات ذات الإعجاز:" تبين لي أن هذه العادة لم تُتخذ إلا للحصول على الدراهم "[5]. " وقد أنكر هذا التجسد الحاج لودلف دي سودهم، الذي جاء سنة ١٣٤٨م وقال: تدعي هذه الأيقونة:" المتجسدة لأنهم يحكون انه كان لها ثديان من اللحم، ولا ريب في عدم صحة ذلك "[6] أما ملك الروم نوفيل بن ميخائيل، زمان الشماس الذي اعتلى مهامه في مصر سنة ٢٤٤هـ، فقد أمر " بمحو الصور من الكنائس، وأن لا تبقى صورة في كنيسة، وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة أنه عمل في صورة مريم عليه السلام شبه ثدي يخرج منه لبن ينقط في يوم عيدها، فكشف عن ذلك فإذا هو

---

[1] - ص ١٣٧ نفسه

[2] - ص ١٣٧ نفسه

[3] - ص ١٤١ نفسه

[4] - ص ١٤٣ نفسه

[5] - ص ١٤٨ نفسه

[6] - ص ١٤٩ نفسه

مصنوع ليأخذ به القِّيم المال، فضرب عنقه وأبطل الصور من الكنائس"[1].

أما زين الدين بن عمر الدمشقي المعروف بالجويري، فقد عقد فصلاً في كتابه " المختار في كشف الأسرار" سماه " كشف أسرار كذبة الرهبان قال فيه:" انهم أخذوا قرمة نخلة ثم نزلوا عليها بالمدقات حتى صارت مثل السفنج، ثم غشوا عليها ثوب شومن المنخل، ثم وضعوها في ذلك الموضع، فإذا جاء العيد الذي لها، سقوا تلك القرمة بالزيت ثم ثقلوها بشيء يوازن بروز ذلك الزيت، فتبقى ذلك اليوم ترشح طول النهار "[2].

ـ **المعبد والشعب وخدمة الإله:** المعبد بيت الإله ومكان كنزه وثروته وبالإضافة إلى تماثيل الحراسة أدى الاحتراز الأمني إلى منع دخول المعبد لأي كان أو في أي وقت كان، " فقد كان دخول المعبد ـ عند الإغريق ـ مقصوراً على الكهان الذين يقومون بخدمة المعبد وتزيين

---

[1] ـ ص ٤١١ ج٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ١٥١ خبايا الزوايا

التمثال وتخزين الهدايا "[1]. وفي معبد اترغاتيس الهيليني:" الكهنة وحدهم يستطيعون الولوج للمصلى، وليس جميع الكهنة"[2] " فقط الكهنة من الرتبة الأكثر تمييزاً "[3]، وعند الكنعانيين " كان الكاهن وحده يدخل إلى الهيكل، حيث تمثال الإله "[4]، وفي بلاد ما بين النهرين، إلى الغرفة الالهية السرية، لا يدخل إلا الكهنة والملوك حيث تمثال الإله "[5].

وفي جوقة خدم الإله في مصر " لا يتاح إلا لأرفعهم مقاماً ولوج الحجرة الخاصة حيث يقيم الإله، فالكهنة هم المسئولون عن خدمة الإله وعبادته فقد كانت تقام كل صباح وفي كل المعابد مراسم متماثلة: حركات طقسية وسجدات وصلوات وأناشيد وإحراق بخور، كان الكاهن يفتح الحجرة الإلهية ويوقظ الإله ويقدم له قبل أي شيء آخر عين هوروس التي فقدها في صراعه ضد شيت، ويقدم له بعد ذلك تمثالاً صغيراً لـ " ماهات " ابنة رع، ثم يغسله ويلبسه ثيابه ويزينه ويمسحه

[1] ـ ص ٦١ الآثار الكلاسيكية

[2] ـ ص ٤٤ المعبد السوري

[3] ـ ص ١٥ آلهة الثالوث الشمسي

[4] ـ ص ٥٨ الديانات السورية القديمة

[5] ـ ص ١٨٨ تاريخ الحضارات العام

بالطيوب ويخضبه، ويقدم له أخيراً ما لذَّ وطاب من أنواع الطعام والشراب على سماط أو حصير أمام التمثال، وفي ساعات معينة من النهار تفتح الحجرة لكي تقدم له وجبة أُخرى، وعند حلول المساء يرتدي ثياب الراحة ويستسلم للنوم بعد أن يقفل المكان المقدس "[1]، ومعبد الكرنك " يستطيع أن يدخل إليه جمهور غفير من الشعب إبان الأعياد التي تنظم فيها التطواف بتمثال الإله وهو يرتَّج على قاربه، أما بعد ذلك فلم يكن مسموحاً بالولوج إلا لبعض أصحاب الامتيازات "[2] وفي الأعياد فقط كان يشترك الإله " في التطواف أحياناً، في قارب يحمله الرهبان على أكتافهم "[3] وفي معبد زيوس " كان المتعبدون الإغريق، يدورون حول التمثال، وهم يسيرون في رواق علوي يصعدون إليه بواسطة درج"[4] والبراهمة كهنة الإله في الهند " هم الذين يقومون بأفعال العبادة

[1] - ص ١٠٦ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

[2] - ص ١١٥ – ١١٦ نفسه

[3] - ص ١٠٧ نفسه

[4] - ص الآثار الكلاسيكية

والطقوس "[1] و" لا يتعاطى البراهمة غالباً إلا الأعمال الطقسية بحيث يتعذر على أي كان الاستغناء عن خدماتهم"[2].

الدخول إلى قدس الأقداس، لعبادة الإله، ممنوع " وقد يُكتب على الهيكل الداخلي كلمة " ممنوع الدخول "، وهناك أماكن أخرى يمنع فيها المشي، مثل أيكة الإلهة ديمتر والإلهة تورى في مدينة لوبوليس"[3].

فليس من عبادة يومية في المعابد، وقد لا يدخلها بعض الناس إلا مرة واحدة في السنة، وعند الكنعانيين " كانت الحركة الأكثر تمييزاً للعبادة تشتمل على ثني الركبتين أرضاً، وعلى توجيه قبلة باليد ـ وبهذه الطريقة كان المتعبِّد يقدم روحه للإله "[4]. فالعبادة عند الشعب محدودة بتقديم القرابين والتقدمات، أو بالطواف حول المعبد أو الإله أو المسير به في الشوارع والساحات والمسارح، وأهل التقوى منهم يضعون في المعبد تماثيل بصورهم وهم على وضعية الصلاة والتضرع لتذكير الإله بحسن صنيعهم على الدوام " فإذا كان واقفاً قدم رجله اليسرى إلى الأمام

---

[1] ـ ص ٦١٨ تاريخ الحضارات العام

[2] ـ ص ٥٦٠ نفسه

[3] ـ ص ٧١ المعتقدات الدينية لدى الشعوب

[4] ـ ص ٥٨ المعابد السورية القديمة

وضم يديه، تعبيراً عن التضرع أو جاثياً على ركبتيه، أما المرأة فيجب أن تكون قدماها، في حالة الوقوف على نفس السوية "[1] وأخيراً، قال اللورد الإنكليزي هيدلي:" إن زيلرتي للشرق ملأتني احتراماً عظيماً للدين المحمدي السلس الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طيلة الحياة، لا في أيام الآحاد فقط "[2].

ـ مراتب الكهنة واختصاصهم: الكهنة هم العمود الفقري للمعبد، ورئيس كهنة المعبد منصب اجتماعي وسياسي واقتصادي وتشريعي عظيم، وقد كان الرؤساء في بابل " يختارون بطريق العرافة واستنباء الغيب "[3]. وسيلتا التعرف على ما يحبه الإله ويرضاه.

وترتيب الكهنة ومراتبهم عند الصابئة وفي الكنيسة المسيحية " على ترتيب الأفلاك السبعة "[4] و" للكنيسة درجات ورتب، وللقيمين على شؤونها منازل وسلالم، فلها رئيس أعلى، وتحته جماعة من رجال الدين، له وللجماعة ملابس خاصة تتناسب مع درجاتهم ـ فمن الدرجات

---

[1] ـ ص ٣٧ ماري

[2] ـ ص ٩٢ الإسلام ومشكلات السياسية

[3] ـ ص ١٧٢ بلاد ما بين النهرين

[4] ـ ص ١١٠ ج١ مروج الذهب

والرتب التي عرفت عند نصارى العرب في العصر الجاهلي: درجة بطرك أو بطريق ـ ويليه المطران وهو الذي يفصل في الخصومات بين النصارى. أما الأسقف فقد قال عنه ابن منظور: إنما سمي أسقفاً لأنه يتخاشع "[1] ويسمون الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم بالدين بالقسيس، ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه بالخلوة للعبادة بالراهب "[2] ويلي القس " الشماس " الذي يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة ثم الواقف: أي المشرف على الأمور الإدارية والمالية "[3] وترتيب الكهنة في بابل تبعاً لأعمالهم على ثلاث فئات " المعزمون: يترضُّون الآلهة ويشفون من الأمراض والسحر ويطردون الشياطين، والعرافين: يتنبؤون الغيب، والمغنون: وهم بمثابة الشمامسة لدى الاكليروس المسيحي في أيامنا هذه. اسم الكاهن من الفئة الأولى: شمش في السومرية، وآشيبو في الأكادية "[4]. فالكهنة على العموم على أنواع " منهم السحرة ومهمتهم طرد الأرواح الشريرة وشفاء المرضى عن طريق الرقى والسحر، ومنهم المنجمون أو

---

[1] ـ ص ٢٤٦ – ٢٤٧ أديان العرب قبل الإسلام

[2] ـ ص ٢٤٧ نفسه

[3] ـ ص ٢٥٣ نفسه

[4] ـ ص ١٧٣ بلاد ما بين النهرين

العرافون ومهمتهم التنبؤ عن المستقبل وقراءة البخت بواسطة مراقبة النجوم والظواهر الطبيعية، أو النظر في أكباد الحيوانات، أو دراسة انتشار نقطة من الزيت على سطح الماء وغير ذلك، ومنهم المغنون الذين ينشدون التراتيل الدينية، وهناك كاهنات من النساء ساحرات وعرافات ومغنيات وعازفات في جوقة المعبد الموسيقية "[1]. " كما نجد في هيكل عشتار بمدينة أوروك، العواهر اللواتي يعرضن ذواتهن لتتميم طقوس تكريم الربة "[2] وفي الصين " ينقسم رجال الكهنوت فئتين، لكل منهما منزلة حسب الترتيب الطبقي، ويتخذ أفراد الطائفة الأولى من النبلاء، ويتفرعون إلى مراتب عدة، منهم الكهنة الرسميون والمصلون والمنجمون والسحرة ومفسروا الأحلام والمظاهر الطبيعية، والفلكيون.

وتشمل الثانية رجالاً ونساء ينتمون إلى فئة اجتماعية وضيعة لذا اعتبروا محتقرين يتعاطون السحر ويكونون كمن اعتراهم مس شيطاني، فالكهنة هم الذين يديرون أعمال الذبائح، ويتلون الصلوات التي تكرس الاتفاقات والمعاهدات، ويراقبون حفلات الدفن، ويتنبؤون بمصير

---

[1] ـ ص ١٨٦ معالم حضارات العالم القديم

[2] ـ ص ١٦٩ تاريخ الحضارات العام

الحرب والصيد والزرع، ويفسرون الأحلام والعلامات والرقى بواسطة أسفاط السلاحف - ولرجال الكهنوت هؤلاء عدد من المساعدين: الموسيقيون والكتبة والخدم والأطباء ومستدعوا الأمطار ومخرجوا الأرواح النجسة فهم وسطاء ذوي علاقات خاصة مع الآلهة والأرواح كمطية تتخذهم الآلهة والأرواح أداة يعملون بواسطتها وينطقون بلسانها أثناء حركات الاستلهام التي تشمل حركات تمثيلية ورقصاً وأناشيد على أنغام الطبل والمزمار - هؤلاء السحرة يلعبون دوراً هاماً "[1]. في المجتمع والدولة. والكهنة البراهمة في الهند " يقومون في القرى بدور الطبيب الساحر، ومن بينهم ينتخب كاهن الملك " البروهمين " - وهو الذي يقوم بأعمال الرقى ليضمن للملك النصر أو النجاح في الأعمال"[2].

ـ **ثروات المعابد والكهنة:** ثروات الإله أو المعبد كبيرة جداً والكهنة هم الذين يملكونها بالفعل ومن هنا كان عظم سطوتهم على الشعب وعلى الملوك، فهم القوة الأعظم في الدولة القديمة، والتعاليم المقدسة في الهند تقول: " فليقطع الملك الأراضي المسماة براهما ديا إلى الذين يخدمون

[1] ـ ص ٥٩٢ ـ ٥٩٣ تاريخ الحضارات العام

[2] ـ ص ٥٦١ نفسه

في المعابد عند تقديم القرابين، وإلى المرشدين الدينيين ومعلمي الفيدا، وليعفِ تلك الأراضي من الضرائب والغرامات "[1] وفي بلاد ما بين النهرين " كانت المعابد غنية، تمتلك الأراضي الواسعة التي لا يجوز بيعها أو رهنها أو اغتصابها، وإنما يمكن تأجير قسم منها لصالح المعبد، والقسم الأخر يستثمر مباشرة من قبل المشرفين على المعبد لتأمين حاجيات ساكنيه "[2]. وكانت للمعابد استثمارات زراعية وأخرى لتربية المواشي وثالثة حرفية، مكَّنت من ايجاد احتياطيات كبيرة من الحبوب والصوف والأقمشة والمصنوعات الحجرية والمعدنية، إضافة إلى القرابين الطوعية "[3] ذات الطابع الإلزامي. ومن ارشيف معابد إ ـ أنا في أرك، ومن جمدة نصر لما بين النهرين، تسجيلات عن توزيع لقطع أرض كما يلي:" يتحدث أحدها عن توزيع أراض واقعة بمحاذاة القناة مساحتها ٢٣٣بودا أي قرابة ١٥٠٠هكتار: خصص ثلثي الأرض للحاكم الأعلى " الاين "، وقدم الثلث الباقي إلى الأشخاص التاليين: الكاهنة

---

[1] ـ ص ٣٤١ معالم حضارات العالم القديم

[2] ـ ص ١٨٦ نفسه

[3] ـ ص ١٠٢ المدن الأولى

العليا ١٢٢هكتار، الكاهن الثاني أو العراف قرابة ٦٤هكتار ـ "[1] أما الفرعون رمسيس الرابع فقد منح معابد الإله آمون في مصر ما يلي: " عبيد ٨٦٤٨٦، ثيران ٤٢١٣٦٢، حدائق ومروج٤٣٣، أراضي زراعية٨٦٤١٦٨.٢٥ آرور، سفن بحرية وزوارق ٨٣، دور لصناعة السفن من شجر الأرز والأكاسيا ٤٦، مدن في مصر ٥٦، مدن في سوريا ٩"[2]. أما عن الضرائب التي على الشعب تقديمها لمعابد الإله آمون، فقد جاء ما يلي:" من الذهب ٥٦٩ ديبن و٦.٥ كيت، من الفضة ١٠٩٦٤ ديبن و٩كيت، من النحاس٢٦٣٢٠ديبن، ثيلب كتان ٣٧٢٢ قطعة، نسيج ٣٧٩٥ ديبن، بخور وعسل وزيت ١٠٤٧وعاء، حبوب مطحونة ٣٠٩٩٥ خار، خضار ٢٤٦٥٠مكيال، كتان٤٦٠٠٠ناخو، طيور مائية ٢٨٩٥٣٠، إوز ٧٤٤، ثيران متنوعة ٨٦٦، سفن متنوعة٧١، وكميات كبيرة من ثمار الواحات"[3].

---

[1] ـ ص ١٠٠ نفسه

[2] ـ ص ٧٩ معالم حضارات العالم القديم

[3] ـ ص ٨٠ نفسه

ـ **الكهنة والملوك:** السلطة الفعلية لمن ملك الشعب والمال والعلم، والكهنة هم الأقوى في الدولة القديمة، كيف لا وهم المسؤولون عن إدارة شؤون الآلهة وهم المسؤولون عن التعليم والثقافة والتربية، فهم " الذين نعموا بثقافة أرفع "[1] ولا مكان للجهلة في الكهنوت وأرسطو يقول: " لا يُمكَّن زارعاً أو عاملاً أن يصل إلى وظائف الكهنوت أبداً "[2]، وفي مصر " كان على الملك أن يستدرج رضا الإله بالإكثار من الأعطيات والتقدمات التي كانت تذهب إلى الهيكل فتزيد سلطة كهنة آمون، وبالتالي من شأن رئيس الكهنة الذي كان يعيش عيشاً مترفاً ـ وكان رئيس الكهنة يمارس إلى جانب وظيفته الدينية وظائف مدنية أخرى حتى العسكرية منها "[3]. ولقد كانت حنكتهم عظيمة لما قصدوا تحديد مدة حكم الملوك ومحاسبتهم، ففي مدينة بابل وفي عيد رأس السنة " كان الملك يدور في أرجاء المعبد، ويلقي كافة شارات حكمه أمام الإله، ثم يقدم تقريراً عن أعماله في السنة المنصرمة، ويعترف بذنوبه التي تُوجه إليه، وعليه أن

---

[1] ـ ص ٨١ تاريخ الحضارات العام

[2] ـ ص ٢٦٠ السياسة

[3] ـ ص ٦٥ تاريخ الحضارة العام

يعلن براءته من وقوع بعض الأحداث والمصائب، وبعد ذلك يتلقى صفعة على وجهه من رئيس الكهنة، مع شد الأذنين، منبهاً إياه إلى ضرورة تأدية الواجبات الدينية على أكمل وجه، وبعد ذلك يسمح له بحمل شارات الملك "[1].

ومن أجل ألا تنحدر السلطة كاملة إلى الملك مع مرور الزمن كانت فكرة تحديد مدة الحكم بإجراءات صارمة ومرعبة" ففي الثقافة الاسكندنافية القديمة، كانت فترة حكم الملك تستمر تسعة أعوام يتوجب قتله بعدها، ويحكى أن أحد ملوك السويد عكف قبل حلول أجله، على الصلاة وتقديم القرابين للآلهة لتجنبه المصير المحتوم، فسمحت له الآلهة بالعيش، إن استطاع فداء نفسه بأحد أبنائه كل تسعة أعوام، وقد ضحى ذلك الملك بتسعة من أبنائه وعاش حتى بلغ الشيخوخة، وعندما كان يستعد للتضحية بابنه العاشر قام عليه الناس وقتلوه"[2]. " وفي كريت كان على الملك بعد مرور ثماني سنوات من حكمه أن يلجأ إلى أحد الكهوف

---

[1] - ص ٤٦٥ تاريخ سوريا الحضاري القديم. المركز

[2] - ص ٣١٧ لغز عشتار

في جبل إبدا المقدس، فيخلد إلى الراحة والتأمل "[1] وعند قبائل الشيلوك " كان الكاهن الكبير يدعو جميع النبلاء إلى احتفال سري، يتم من خلاله قتل الملك ودفنه، بعد مضي المدة المحددة لحكمه، وكانوا يدفنون إلى جانبه فتاة عذراء وهي حية "[2]، وفي مملكة كوردفان بأفريقيا كانت مدة حكم الملك " وحياته محدودة بفترة زمنية تتحكم فيها دورة فلكية لا يعرف أسرارها سوى الكهنة ـ فإذا حل الموعد أجبروه على الموت، ومعه عدد من أفراد عائلته وبعض المقربين ممن يختارهم شخصياً لهذه المهمة "[3]، وفي مقاطعة ملابر جنوب الهند " كان على الملك أن يضحي بنفسه في نهاية دورة زمنية فلكية مقدارها اثنا عشر عاماً، وهي الفترة اللازمة لدوران كوكب جوبيتر حول الشمس، فإذا حل الموعد المضروب جاء الكهنة إلى الملك وأبلغوه بانهاء أجله، ثم ينصبوا له منصة خشبية يعتليها أمام حشد كبير من الناس، حيث يبدأ طقس القربان، فيعطوا الملك سكيناً مسنونة قاطعة، ويبدأ بتقطيع أجزاء جسده، مبتدئاً

---

[1] ـ ص ٣١٨ نفسه

[2] ـ ص ٣١٥ نفسه

[3] ـ ص ٣١٥ نفسه

بالأنف فالأذنين فالشفتين، ثم اليد والساقين، وكلما قطع عضواً رماه إلى خارج المنصة أمام الجمهور، حتى إذا خارت قواه وقارب على الانهيار عمد إلى قطع حنجرته "[1] وإذا كان الملك كاهناً كما عند الحثيين فإنا نراه " مستحضراً آلهات المدن العدوة ـ كي تأتي إلى بلده حاملة معها ثروات بلادها"[2].

لقد كان الصراع عظيماً بين الكهنة والملوك، فإن كان الملك على سطوة جعل من نفسه زعيم الكهنة وسخر المعبد لأغراضه، وإن كانت الهيمنة للكهنة فعلوا بالملوك الأفاعيل وسخروهم لتحقيق أغراضهم رغماً عنهم.

ـ المعابد والغناء: لقد عرف الإنسان منذ زمن بعيد ما للموسيقا من دور في الشفاء من الأمراض وتجييش العواطف، فخصوها بالمعابد التي من مهامها معالجة الأمراض بكل ألوانها وأشكالها، وليس هذا فحسب فهي الوسيلة الناجحة لحضور الخشوع وعواطف المتعبدين، وما بالك إن كان الهنود يستخدمون " النغم الرتيب الهادئ ـ في تهويم الحية

---

[1] ـ ص ٣١٧ نفسه

[2] ـ ص ٢٦ الديانات السورية القديمة

لإســكارها واســتدراجها مــن حجرهــا أو لترقيصــها "[1] " اســتخدمت الموسيقى أثناء إقامة الطقوس والشعائر الدينية، وفـي الجنـازات والأعياد والحفلات العامـة والحـروب "[2]. " أمـا الـرقص فكـان وسيلة للتعبيـر عن العبـادة والشكر للإلـه "[3]. وفـي الهنـد " النفقـات الرئيسية للخزينـة تكـون على منشدي الأناشيد الدينية عند الصلوات علـى شـرف الآلهـة والأجداد، وعلــى تقـديم الهـدايا والقـرابين "[4] " ويقـوم الكهنــة بإنشــاد النصــوص، الصـلوات بمصـاحبة الطبـول والأجـراس والأبـواق، وحـرق البخـور "[5]. وفي مملكة ماري تم التعرف على أسماء " المرتلين مثـل: كـولبي ـ آتـال، وحسري ـ آميم. المكلفين بالترتيل فـي معبد نوغـال، والموسـيقيين: سين ـ ايفيشـام، وفانـا ـ مانسـي "[6]. كمـا وجد فـي معبد نينـي زاز تمثـال المغنيـة المشهورة أورنينـا واليهود أيضـاً حـافظوا علـى بقـاء الموسيقى والأناشيد في معابدهم، " وانتقلت الموسيقى إلـى العبـادة المسيحية من اليهود، لأن

[1] ـ ص ٥٢ ــ ٥٣ تاريخ العلوم عند العرب وفي مصر

[2] ـ ص ٥٩ معالم حضارات العالم القديم

[3] ـ ص ٥٩ نفسه

[4] ـ ص ٣٤٢ نفسه

[5] ـ ص ٣٥٩ المعتقدات الدينية لدى الشعوب

[6] ـ ص ١٧٧ ماري

معظم النصارى الأولين كانوا يهوداً، يصلون صلواتهم المسيحية بألحان عبرية "[1]، " وقد ذكر أغناطيوس برهوم، سبب إدخال الموسيقى إلى الطقس الكنسي، فقال: رضي أئمة الدين، إدخال الألحان إلى بيعة الله، لأسباب ثلاثة: أولها: مناهضة ألحان الوثنيين وأصحاب البدع، وثانيها: الاستعانة بها على النشاط في عبادة الله ودفع الملل عن المصلين، ثالثها: تنبيه الحواس إلى إدراك معاني الصلاة "[2] أما أفلاطون فقد تحفظ كثيراً على بعض أنواع الموسيقى المستخدمة في المعابد وبعض آلاتها كالمزمار وغير ذلك وأرسطو في دولته المقترحة منع من استعمال المزمار قائلاً: " المزمار ليس آلة موافقة للأدب ولا يصح إلا لإثارة الشهوات ـ كذلك أبطل عدة من الآلات القديمة كالكند والبريتول، وكل تلك التي لا تثير في المستمع إلا معاني لذة الحواس"[3].

---

[1] ـ ص ٥٤ تاريخ العلوم عند العرب

[2] ـ ص ٦٥ الأصول الكنعانية للمسيحية

[3] ـ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ السياسة

ـ **الملوك وبناء المعابد:**

الإنسان مخلوق لخدمة الآلهة وتأمين راحتهم وما يلزمهم من طعام وشراب، والمعبد هو البيت الملائم لسكناهم، ولكن انشاء أي معبد لإله من الآلهة يحتاج إلى موافقة كبير الآلهة، وقد جاء في أسطورة بعل وعنات الكنعانية: أن الإله بعل رغب في بناء معبد له فاختار الإلهة غنات لتتوسط له عند إيل أبو الآلهة، فراح يشكو لها أحواله قائلاً: " ليس لي معبد مثل الأرباب، ليس لي قصر كأبناء أثيرت، ليس لي بيت مثل إيل، ليس لي ملجأ أحتمي فيه مثل أبناء إيل، ليس لي دار تسكنها بناتي: مذرية ذات النور، وطلبت ذات المطر "[1]. فانطلقت عنات إلى " إيل " وراحت تهدده بغضب:" سوف أرضُّ رأسك، وأحوِّل لون شعرك الأبيض إلى أحمر "[2] إن لم تأمر ببناء معبد لبعل فخاف إيل فوافق على طلبها وأرسل إلى الإله المهندس كوثار حاسيس يأمره للاستعداد لبناء

[1] ـ ص ٣١ ـ ٣٢ قصائد أوغاريتية

[2] ـ ص ٣٣ نفسه

معبد للبعل " وبانتهاء البناء " ذبح بعل العجول والأغنام والماعز، أقام مأدبة لإخوته الآلهة في قصره "[1].

وبعد أن انتصر الإله مردوخ على الإلهة تعامة حسب اسطورة انيوماليش، وبعد أن تم خلق كل شئ قال مردوخ مخاطباً الآلهة:" هناك ابني بيتاً لي وهيكلاً ـ سيكون مفتوحاً لاستقبالكم وبه تبيتون، أو تهبطون من السماء للاجتماع، سأدعو اسمه بابل، أي بيت الآلهة الكبرى "[2]. و" أعمل الانونانكي معاولهم ـ ورفعوا الايزاجيلا " المعبد الذي وصلت أساساته الأبسو، وبعد أن أنهوا برجه المدرج بنوا في الداخل مسكناً لمردوخ وانليل وإيا، ثم جلس مردوخ أمامهم في جلال ـ فأجلس أباءه الآلهة إلى مأدبة ـ ولما استقر الآلهة الكبار إلى المائدة أخذوا يعبون الجعة وهم يأكلون، وبعد أن مرحوا وطربوا، أقاموا الطقوس في الايزاجيلا المهيب"[3].

---

[1] ـ ص ٤٩ نفسه

[2] ـ ص ٧٥ مغامرة العقل الأولى

[3] ـ ص ٧٨ نفسه

وإن انتصر ملك على أعدائه، فإن إلهه هو الذي نصره وعرفاناً بالجميل لا بد من بناء معبد لذلك الإله، وهكذا مع إله الخصب وإله المطر وإلى ما هنالك، وفي معركة أكيتوم ٣١ق.م بنى اوغسطوس معبداً للإله أبولون حيث نصره على أعدائه "[١] ولما انتصر قيصر روما على بومبيوس في معركة فرسالوس عام ٤٨ق.م قام ببناء معبد للإلهة فينوس"[٢] ولما انتصر أوغسطوس على قتلة أبيه في معركة فيلبي سنة ٢ق.م بنى معبداً لإله الانتقام مارس "[٣] ولما انتصر القائد الروماني كونيتوس كيكيليوس ميتللوس سنة ١٧٩ق.م بنى معبداً للإله جوبيتر وزوجته يونو "[٤] ولما انتصر فوريوس كاميلوس على مدينة فيبي الاتروسيكية سنة ٣٦٧ق.م بنى معبد لوكان"[٥] ونظراً لحرارة هذا الاعتقاد فإن الملوك بأيديهم كانوا يشاركون في بناء المعابد " إذ لا يستنكر الملوك أن يتمثلوا، كما حصل في لاغاش، وهم يحملون على

---

[١] ـ ص ٧٤ الآثار الكلاسيكية

[٢] ـ ص ٧١ الآثار الرومانية

[٣] ـ ص ٧٢ نفسه

[٤] ـ ص ٦٢ نفسه

[٥] ـ ص ٥٣ نفسه

رؤوسهم قفة تملؤها مواد البناء "[1]. وقد كان الملوك من جهة أخرى يبنون المعابد لحفظ ما لديهم من تراث أرادوه أن يُذكر على الدوام فمعبد مارس الذي بناه أوغسطوس سنة ٢ق.م، جعل فيه قاعات ومحاريب خصصها " لوضع التماثيل لأجداده الأسطوريين ولعظماء الرومان وأبطالهم "[2]. " ومعبد نيكاريون الذي أقامه انطيوخس الأول في سلوقية بيرية، قد أقامه لدفن والده فيه "[3]. " ويكاد يكون من المسلم به أن تلجأ كل سلالة جديدة حاكمة إلى بناء معبد جديد يخصص للأرباب المعروفة، أو للرب الخاص الذي يحمي الملك ـ وعلاوة على ذلك كانت عبادة الأرباب التقليدية هي الضمانة الأكيدة التي تبقي الملك في دفة الحكم"[4].

ـ المعبد والبغاء المقدس:

النكاح بين الرجل والمرأة يعطي الأولاد أو الذرية، وتلك قمة السخاء في الخصب، وعشتار إلهة الخصب في بلاد ما بين النهرين، ولكنها لم تكن إلهة تقصد الجنس المؤدي إلى بناء الأسرة، فهي بغي

---

[1] ـ ص ١٦٨ تاريخ الحضارات العام

[2] ـ ص ٧٣ الآثار الرومانية

[3] ـ ص ١٣٣ الآثار الكلاسيكية

[4] ـ ص ٤٦ ألالاخ

قصـدت الجـنس للمتعـة " عشـتار سـيدة الجـنس الحـر لا سـيدة الجـنس الزوجي "[1]، " وصـار اسمها عند كهنتها " البغـي المقدس " كمـا صـارت كاهناتهـا يـدعين " البغايـا المقدسـات " "[2]. وفـي بابـل " تحتـل عبـادة عشـتار، إلهـة الفحش والفجـور المرتبـة الأولـى بـين سـائر العبـادات، فـي عبادة عشتار وطقوسـها نجد ثـلاث أنـواع مـن البغايـا المقدسـة: الكزريـت والسـنهات والهريمـات، وهـن اللـواتي لأجلهـن احتفظـت عشـتار بالإنسـان وأسـلمته لأيـديهن "[3]. ولقـد " نظمـت شـريعة حمـو رابـي أحـوال البنـات اللـواتي لـم يتـزوجن بـل وهـبن أنفسـهن لخدمـة الآلهـة فـي المعابـد، وتـذكر القـوانين ثلاثـة مـنهن: أخـت الإلـه، زوجـة الإلـه، العـاهرة ـ إن القـوانين تسمح لهن بممارسة العهر المقدس في المعابد، كما وجد في المعابد أيضـاً رجال لا يتزوجون، بل ويسمح لهم بممارسـة العهر المقدس أيضـاً ولكـن لا يسمح لهؤلاء الرجـال أو أولئـك العـاهرات المقدسـات بتربيـة أولادهـم، بل يعهد بتربيتهم إلـى أبـوين يتبنيـانهم "[4] ومـن جملـة النصـائح فـي أشـعار

---

[1] ـ ص ١٩١ لغز عشتار

[2] ـ ص ٤٤٧ تاريخ سوريا الحضاري القديم

[3] ـ ص ٩٧ بلاد ما بين النهرين

[4] ـ ص ١٧٠ معالم حضارات العالم القديم

بابـل: " لا تتـزوج بغيـاً، أزواجهـا حشـد غفيـر، ولا بغـي معبـد وُهبـت للإله"[١]. فالعهر يعطي المعرفة والفهم العميق والـ " ستة أيام وسبع ليال قضاها انكيدو " صديق جلجامش" مع فتاة اللذة ـ ـ حتى غدا عارفاً واسع الفهـم عميقـه "[٢] ولعشـتار كاهنـات فـي معابـدها " أمـا كاهناتهـا فبغايـا مقدسات لا ينقطعن عن ممارسة الجنس، موهوبات لكل الرجال ـ وحـول معبـدها تسـتمر الـدعارة المقدسـة فـي كـل الأوقـات "[٣] وعنـد الفينيقيـين " تضم المعابد إلى جانب الكهان والكاهنات عدداً من العـاهرات المقدسـات، كما كانت المرأة تضحي بعذريتها في معبد عشتار إذا أرادت أن تكسـب رضـا الآلهـة "[٤]." ويـروى أن سيرنياس الفينيقـي ملـك قبـرص هو الـذي أوجد هذه الطقوس "[٥] " وفي بعلبك وبيبلوس وغيرهـا من مراكـز الثقافـة السـورية، سـادت عـادات مشـابهة فـي معابـد الإلهـة عشـتار "[٦]. " وفـي أرمينيا كانت العائلات النبيلة تقدم بناتها للخدمة كبغايـا مقدسـات فـي معبـد

---

[١] ـ ص ٢١٦ جذور الاستبداد عـ١٩٢ عالم المعرفة

[٢] ـ ص ٢٣٧ لغز عشتار

[٣] ـ ص ٢٣٧ نفسه

[٤] ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ معالم حضارات العالم القديم

[٥] ـ ص ١٩٢ لغز عشتار

[٦] ـ ص ١٩٢ نفسه

أناتييس إلهة الخصب "[1] و" الاسبارطيون قد ألحقوا بمعبد ديونيسيوس بيتاً خاصاً للدعارة. وأفروديت في بعض أشكالها كانت تدعى بافروديت ـ بورني، أي: العاهرة، وكانت حامية للبغاء من كل صنف ونوع. وفي مدينة كورنثة، كانت عاهرات المدينة يعتبرن بمثابة بغايا مقدسات، وفي ليديا بقي البغاء المقدس قائماً حتى القرن الثاني الميلادي "[2] وعند الثموديين " يخلع المتعبدين ملابسهم ويتقدمون إلى أمام الآلهة التي يقدمون لها هباتهم بحضور خادم المعبد، عند ذلك تبدأ الرقصة المقدسة، على أنغام الموسيقا، حتى الإنهاك والنشوة، وينتهي الاحتفال بالبغاء أو اللواطة المقدسة "[3]كما رسموا آلهتهم بحيث " تبرز الأعضاء التناسلية لهذه الآلهة لأسباب طقسية "[4] كما رسموا أنفسهم، والأيدي نحو الأعلى، وجميع الأشخاص عراة "[5].

[1] ـ ص ١٩٣ نفسه
[2] ـ ص ١٩٣ نفسه
[3] ـ ص ١٠٦ تاريخ ثمود
[4] ـ ص ٨٦ نفسه
[5] ـ ص ١٠٢ نفسه

العهر في المعبد فريضة وقربان تقدمه كل امرأة للآلهة ففي معابد أفروديت " كان على كل فتاة أن تخدم في معبد أفروديت كبغي مقدس تعطي جسدها للغرباء فترة من الزمن قبل أن تتزوج "[1] علماً أن لأفروديت في اليونان " أكثر من ألف معبد للبغايا، أو بنات الضيافة " اللائي كن كما يقول سترابو " مركز الجذب الرئيسي في المدينة"[2] " وفي بابل كان على كل امرأة أن تستسلم في معبد عشتار لأول غريب يطلبها وتأخذ منه أجراً رمزياً غير محدد تسلمه إلى الهيكل هبة منها لإلهة الحب "[3] وفي معبد إيلاجابال في ايميسيا "حمص" " كانت هناك بعض التقاليد والعادات التي تقضي أن تقدم كل فتاة قد بلغت سن الرشد نفسها عارية في المعبد وتركع وتسجد على المذبح منتظرة أحد الغرباء لفض بكارتها، وإذا رفضت إحداهن الخضوع لهذه التقاليد اعتبرت وكأنها قد تجاوزت حدود الدين والتقوى "[4] وأخيراً " صار البغاء المقدس في المعابد وقفاً على البغايا المقدسات اللواتي كن يمارسن

---

[1] - ص ١٩٢ نفسه

[2] - ص ٦٢ المعتقدات الدينية لدى الشعوب

[3] - ص ١٩٢ نفسه. ص ٩٨ بلاد ما بين النهرين

[4] - ص ٢٨ أميرات سوريا حكمن روما

الجنس نيابة عن كل النساء "[1]. وعند الأشوريين " في الألف الثانية قبل الميلاد، كان يحظر على الزوجة الحرة الخروج من بيتها وهي مكشوفة الرأس، ـ تمييزاً لهن من عذارى الهيكل والبغايا"[2]. و" راهبات الإلهة فيستا "[3] لا يتزوجن إلا بعد خدمة المعبد " ثلاثين سنة، ثم يخرجن ويسمح لهن بالزواج بعد ذلك "[4].

الإله ينكح كاهنات المعبد " ففي الطابق العلوي من الزاقورة يوجد هيكل للإله فيه سرير ومائدة ولا يسكنه أحد، إنما تأوي إليه كل ليلة امرأة جميلة يختارها الإله ليقضي ليلته معها "[5]. ففي الزاقورة التي تتألف من عدة طبقات، والتي استخدمت " كمرصد فلكي " [6]، يلتقي فيها أيضاً " البشر مع الآلهة "[7]. وذكر هيرودوتس عن المعبد الصغير الذي يعلوها أن امرأة " قضت فيه ليلتها وحيدة، اختارها الإله من بين جميع نساء

[1] ـ ص ١٩١ ـ ١٩٢ لغز عشتار
[2] ـ ص ٣٠١ بلاد ما بين النهرين
[3] ـ ص ٤٤٨ معالم حضارات العالم القديم
[4] ـ ص ٤٤٩ نفسه
[5] ـ ص ١٨٧ معالم حضارات العالم القديم
[6] ـ ص ١٨٩ تاريخ الحضارات العام
[7] ـ ص ٢٩٣ تاريخ بلاد الشام

المدينة " [1]. أما بمصر " في طيبة، فقد كانت الكاهنة الرئيسية لآمون، تحمل لقب " زوجة الإله "، وكانت قائدة الإناث اللائي يعزفن الموسيقى، ويُنظر إليهن على أنهن حريم الإله "[2] " وفي بلاد كنعان كان من النساء من تهب نفسها لخدمة المعبد، ومضاجعة زواره وكهنته "[3]. أما زواج عشتار من تموز أو دوموزي " فيجري تمثيله بين الكاهنة وكبير الكهنة ـ في حجرة الرب التي تبقى مغلقة حتى يأتي مثل ذلك اليوم من السنة "[4]. حتى المعابد قد تم بناؤها على مثير جنسي " فبعض هذه المعابد قد صمم بطريقة توحي بالعضو الجنسي للمرأة كما هو الحال في معابد تل العبيد وخفاجة وأوقير ـ " وفي الهند نجد الحرم الداخلي في المعبد، على هيئة عضو التأنيث "[5]. وعشتار في صورها وتماثيلها " تبدو عارية أو نصف عارية مع التأكيد على مثلث الأنوثة "[6]. وقد باعدت بين فخذيها لتظهر منطقتها الجنسية بشكل واضح، وفتحت

---

[1] ـ ص ١٨٩ تاريخ الحضارات العام

[2] ـ ص ٥٧ المعتقدات الدينية لدى الشعوب

[3] ـ ص ٢٩ الزواج عند العرب

[4] ـ ص ٤٤٩ تاريخ سوريا الحضاري القديم. المركز

[5] ـ ص ١٧٩ لغز عشتار

[6] ـ ص ١٨٤ نفسه

ذراعيها في وضع من تتأهب للاحتضان "[1] وايزيس المصرية " تبدو إيزيس وقد جلست في وضع مماثل فوق خنزير بري"[2].

وفض بكارة العذارى كان من ضمن الطقوس التي تنتمي للمعبد وشعائره وفي بابل " كانت المرأة البكر، تذهب إلى المعبد، فإذا ألقى رجل غريب في حجرها قطعة نقود، فعليها أن تتبعه ليفض بكارتها "[3]. وقطعة النقود هذه تقدم كقربان للإله وامتدت هذه العادة أخيراً إلى أوروبا "[4]. وأصبح الملوك هم اللذين يقومون بهذا الدور، " ومن الملوك اللذين مارسوا هذا الحق الملك مالكوم الثالث ملك ايقوسيا ١٠٥٧ ـ ١٠٩٣م "[5] وقد روى الأخباريون أيضاً أن " زعيم اليهود في يثرب كان يدعى " القيطون " وكان من حقه أن يفترض المرأة قبل دخول زوجها عليها، حتى قتله مالك بن عجلان "[6].

[1] ـ ص ١٨٤ نفسه

[2] ـ ص ١٨٤ نفسه

[3] ـ ص ٢٩٢ الزواج عند العرب

[4] ـ ص ٢٩٢ نفسه

[5] ـ ص ٢٩٣ نفسه

[6] ـ ص ٢٩٤ نفسه

وبالنتيجة: المعابد، بما فيها من عاهرات، بما فيها من تماثيل ورسوم إباحية دفعت أرسطو ليصرخ بلهجة الإصلاح:" فلننه عن التمثيل والصور المنافية للأدب، وليعمل الحاكم على أن يجنب الأطفال النظر إلى أي تمثال أو رسم يثير معاني من هذا القبيل، إلا أن يكون ذلك في معابد أولئك الآلهة التي يجيز فيها القانون نفسه الفحش "[١]. وإنه لإصلاح، وأي إصلاح!! أما زينون مؤسس الفلسفة الرواقية فقد نادى بإلغاء " المعابد "[٢] " وتروي الأخبار أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين هو الذي ألغى البغاء المقدس في بعلبك وهدم معبد عشتار فبنى فوقه كنيسة "[٣].

ـ **القرابين والمذبح:** يعتبر المذبح من المكونات الأساسية للمعابد فهو " الذي تقدم عليه الذبيحة "[٤] وفي ألالاخ كان المذبح " يعلو كل شئ في المعبد كبرج الكنيسة "[٥]. انه " موقد نار لحرق القرابين "[١] وفي معبد

---

[١] ـ ص ٢٨٨ السياسة

[٢] ـ ص ٣٢ المدينة الفاضلة عبر التاريخ عـ٢٢٥ عالم المعرفة

[٣] ـ ص ١٩٢ لغز عشتار

[٤] ـ ص ٨٣ تاريخ سوريا القديم

[٥] ـ ص ٤٨ ألالاخ

" كامد اللوز في البقاع " من العصر البرونزي " يحتوي على موقد أو مذبح، تشتعل فيه نار عظيمة "[2] والمذبح " هو الموضع الذي تُنحر وتحرق فيه الضحية"[3] أو القرابين الحيوانية أو البشرية، وفي تدمر " تم التعرُّف في باحة "بل الكبير " على ممر تحت الأرض مخصص لجلب حيوانات الذبيحة إلى جوار المذبح الكبير "[4] التي سوف تأكلها الآلهة، وفي وصف للآلهة الهندية وقد جاءت لتأكل القرابين يقول: " هبطت الآلهة إلى ميدان التضحية، هبطوا متخفين لا يراهم أحد، جلسوا فوق القش المقدس، واشتركوا في مأدبة التضحية، وتغذوا بالقرابين التي أحرقها الإله " أجني " "[5] أما في روما، فقد " كانت تحرق أحشاء الذبيحة فقط على المذبح، ثم يأكل الكهنة والمصلون بقية الذبيحة "[6].

وهناك أيضاً مذابح أخرى، منها " مذبح النذور " و" مذبح البخور " وإلى ما هنالك.

---

[1] ـ ص ٤٨ نفسه

[2] ـ ص ٧ المعبد السوري

[3] ـ ص ٢٥ نفسه

[4] ـ ص ٨٥ الديانات السورية القديمة

[5] ـ ص ١٥١ المعتقدات الدينية لدى الشعوب عـ١٧٣ عالم المعرفة

[6] ـ ص ٤٤٩ معالم حضارات العالم القديم

ـ الأشكال الخارجية للمعابد وقبلتها: لم تتخذ المعابد نمطاً واحداً في شكلها الخارجي، فمنها المستطيل والمربع والمستدير والبيضوي والشكل المستدير للبيوت الإيطالية بقي " سائداً أيضاً في المعبد الروماني "[١]. ومعبد فستا " إلهة النار المقدسة " أحد أشهر المعابد الرومانية المستديرة الشكل "[٢] أما معبد عقير فقد بني على مصطبة آجرية من طابقين " ذات شكل نصف بيضوي "[٣] ومعبد بنو " في تدمر اتخذ شكل شبه منحرف "[٤] أما " معبد أبجل في خربة سمرين، نجد أن الهيكل الصغير، مفتوح باتجاه الجنوب "[٥] و" معبد حربذة، ومعبد أبو قطفة " فكان الشكل مستطيلاً في المعبد الأول ومربعاً في الثاني "[٦]. ومنها ما هو على شكل العضو التناسلي للمرأة.

---

[١] ـ ص ٦٠ الآثار الرومانية

[٢] ـ ص ٦١ نفسه

[٣] ـ ص ٥٨ المدن الأولى

[٤] ـ ص ١٣ نفسه

[٥] ـ ص ١١ نفسه

[٦] ـ ص ١٠٠ أبحاث في الجزيرة العربية

وقبلة المعابد ليست هي الأخرى على شرط واحد، فعند الإغريق "كان يحتفظ بتمثال الإله الذي يتجه نحو الشرق غالباً"[1] ومعبد العذراء في أثينا " واجهة المعبد الأمامية تتجه إلى الشرق"[2] " وفي حين اتجهت معابد أخرى نحو جهات اعتباطية لا أثر فيها لوجهة محددة، وهذا ما أثبتته عدم انتظام محاور المعابد في كل من أثينا ودلفي وأولمبية "[3] ومعبد الإله أبولون في مدينة باساي الذي أنشئ حوالي ٤٣٠ق.م " واجهته الرئيسية تتجه إلى الشمال عكس كثير من المعابد المعاصرة التي كانت توجه في معظم الحالات إلى الشرق "[4] وفي مأرب في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد، بُنيت معابدها " في اتجاه الشرق "[5] والصابئة " يتوجهون في صلاتهم إلى النجم القطبي "[6] وصلاتهم يؤدونها في اليوم ثلاث مرات: قبل طلوع الشمس وعند زوالها وقبيل غروبها وتقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون سجود. أما

---

[1] - ص ٦١ الآثار الكلاسيكية

[2] - ص ٨٢ نفسه

[3] - ص ٦٢ الآثار الكلاسيكية

[4] - ص ٨٩ نفسه

[5] - ص ٥٣ أبحاث في الجزيرة العربية

[6] - ص ١٥ أحكام الذميين والمستأفين

النصـارى فـ " صـلاتهم إلـى الشـرق"[1] .وقـد قيـل:" لأنـه مطلـع الكواكـب النيرة"[2]. و" قال الحسن: انما اتخذت النصـارى المشـرق قبلـة لأن مـريم انتبذت مكاناً شرقياً "[3].

ـ الدور الاجتماعي للمعابد:

ـ المعبد والتعليم: فـي بـلاد مـا بـين النـهرين، يـتعلم الطـلاب القـراءة والكتابة في المدارس، والمدارس" اقتصـرت علـى الصـبية فقط من أبنـاء الكهنة والموظفين وكبـار الشخصـيات المدنيـة والعسكرية، وكـان مكانـهـا في المعابـد ـ وعنـد انـهـاء دراسـتهم يسـتلمون الوظـائف "[4] " وقـد درجـت

---

[1] ـ ص ١٤٩ ج٢ البداية والنهاية

[2] ـ ص ١٥٠ نفسه

[3] ـ ص ٣٤٣ عرائس المجالس

[4] ـ ص ١٨٠ معالم حضارات العالم القديم

العادة أن تبدأ الدروس منذ عهد الطفولة في المدارس الملحقة بالبلاط أو المعابد، حيث تحتل مادة الخط المركز الأول، ثم تتفرع بغية تلقين الطلاب المعارف الخاصة بالمهنة، وهي غالباً الكهنوت أو الإدارة "[١] والكهنة معذورون في احتكارهم للتعليم لأن الكتابة على الأقل " أوحاها للبشر الإله الكاتب طوخ "[٢] وللمعبد مكتبة خاصة به، ففي رواق معبد أبولون الذي بناه أوغسطوس " مكتبتين شهيرتين أحدهما للكتب الاغريقية والأخرى للكتب اللاتينية "[٣] والمدارس في اليابان " وجودها دائماً في المعابد البوذية المحلية ـ لتعليم قوانين بوذا الثلاثة ـ ومدارس القرى " التيراكويا "، هي أيضاً داخل المعبد "[٤] وعند الكنعانيين " اكتشف في رأس شمرا بملاصقة هيكل بعل بيت الكهنة الذي كان يضم

---

[١] ـ ص ٨١ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

[٢] ـ ص ١٢٨ نفسه

[٣] ـ ص ٧٤ الآثار الرومانية

[٤] ـ ص ٢٤٠ اليابانيون عـ١٣٦ عالم المعرفة

مكتبة "[1] وليس بغريب أن يأتي الشعراء إلى معبد هرقل ليتنافسوا " في إلقاء أشعارهم "[2].

وكان في بعض المعابد، إلى جانب مدارس الكتبة، معاهد تعرف ببيوت الحياة، لأن الطب كان أحد التعاليم الرئيسية التي تتلقاها نخبة الطلاب، تحوي مكتبة كاملة، يتناول التدريس فيها: الاستطلاع، والحساب وتدوين حوليات الآلهة، والتعمق في العقائد الدينية "[3]، " وهناك أساليب وفنون لا يتعلمها المرء إلا في الهيكل ـ وعدداً وفيراً من المهن يلتحق أربابها بالهيكل ـ يكونون تحت رعاية الكاهن الأعظم، أو الكاهنة الأولى "[4]. " وللهيكل أيضاً مصانعه لتأمين ما يلزم لطقوس العبادة "[5] وفي المعبد يتم تعليم فن النحت لتأمين التماثيل اللازمة للمعبد وللمؤمنين ولنحت الأساطير وكتابتها على جدران المعبد " وبخاصة على أفاريز وواجهات وأعمدة المعابد التي كانت تمثل مشاهد أسطورية

---

[1] ـ ص ٥٨ الديانات السورية القديمة

[2] ـ ص ٧٦ نفسه

[3] ـ ص ١٠٨ تاريخ الحضارات العام

[4] ـ ص ١٤٩ نفسه

[5] ـ ص ١٥٠ نفسه

للإله الذي أنشئ المعبد من أجله "[1]. وفيه يتم تعليم فنون الرسم، على الأقل لتأريخ أو رسم قصص الآلهة وأساطيرهم وأفعال الملوك وأمجادهم على جدران المعبد.

والمعبد يمثل " النشاط الاقتصادي والاجتماعي في مدن ما بين النهرين "[2] وباحات المعابد الواسعة، تصبح أسواقاً ضخمة، في الأعياد والمواسم وعند الحج " التي تشكل فرصاً للتبادل التجاري بين المؤمنين الذين يكونون أحياناً من مناطق مختلفة، كما هو الحال لمعبد بعلشمين الكبير في سيع ـ وتكشف تدوينات كثيرة عن التسهيلات التي كانت تمنح لانتقال البضائع بمناسبة أعياد معبد بيتو كاسا، وفي دمشق كان سوق واسع ودائم قائماً في السور الخارجي لمعبد زيوس "[3] والإله شمش، إله سيبار يساعد المحتاجين، حيث " يقرض شعيراً بمعدل ٢٠ بالمئة كفائدة "[4] فالمعابد " تقدم القروض ـ وتقرض الحبوب أيام المجاعات دون ربا

---

[1] ـ ص ٧٥ الآثار الكلاسيكية

[2] ـ ص ٥١ المدن الأولى

[3] ـ ص ٣٥ المعبد السوري

[4] ـ ص ١٤٥ بلاد ما بين النهرين

ـ. وهكذا يسعى الهيكل لتأمين مصالح الإله "[1] وحسب نقش فيسيماخ زمن السلوقيين:" رهن رجل أراضيه كلها لدى معبد أرطميس، بعد أن اقترض منه مبلغاً كبيراً من المال "[2] فالمعبد كالبنك: " إن خزينة هيكل بل في تدمر صكت نقوداً مخصصة للتداول المحلي ـ. وطاغية ثيوذوروس أودع كنوزه في معبد زيوس في جرش"[3].

" وقد ساهمت المعابد أحياناً في دفع فديات الأسرى الذين لا يملكون الفدية اللازمة لاسترداد حريتهم، كما قدمت المساعدات للناس في سني القحط والمجاعات والمصائب الكبرى "[4] وفي المادة ٣٢ من قوانين حمورابي:" إذا وقع أحد الجنود في الأسر أثناء خدمته الملكية، وعجز عن افتداء نفسه فعلى معبد المدينة أو القرية التي ينتسب إليها أن يدفع له الفدية، وحقل الأسير أو حديقته يمنع بيع أحدها من أجل تسديد مبلغ الفدية "[5]. ومن مهام المعابد الدفاع عن الوطن بالوسائل السحرية،

---

[1] ـ ص ١٥٠ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

[2] ـ ص ١٥٤ الدولة السلوقية

[3] ـ ص ٣٤ المعبد السوري

[4] ـ ص ١٨٦ معالم حضارات العالم القديم

[5] ـ ص ١٦١ نفسه

وفـي مصـر صـوَّروا الأمـم التـي حـولهم علـى جـدران معابـدهم " فمتـى قصدتهم أمة من الأمم، بحـرب أو ضـر، أوقعـوا بصـورهم المصـورة من النكال ما أرادوا، فيصيب تلك الأمة على البعد ما أوقعوا بتلك الصور"[1].

مصـدر الطـب إلهـي، فهـو مـن اختصـاص الكهنـة، والـديانات علـى اختلافها نسبت الطب إلى أنبيائها أو كهانها " فقال قوم من اليهود: إن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام سفر الأشفية، والصـابئة تقول: إن الشـفاء كـان يؤخـذ مـن هيـاكلهم علـى يـد كهـانهم وصـلحائهم، بعـضٌ بالرؤيا وبعضٌ بالإلهام، ومنهم من قال: إنه كان يوجد مكتوباً فـي الهياكل لا يُعلم من كتبه، ومنهم من قال: إن زرادشت الذي تدَّعي أنـه بينـهم، جـاء بكتب علوم أربعة، زعموا أنها جلِّدت باثني عشر ألف جلد جاموس، ألـف منها في الطب "[2]، واسقلیبیوس إمام الطب، زعموا أن " مولـده روحـاني "[3] " وظن الناس أنه يحيي الموتى "[4] "وقال ابقراط: إن الله تعـالى رفعـه

---

[1] - ص ٣٦٣ صبح الأعشى

[2] - ص ٦٥ ج١ من عيون الأنبياء

[3] - ص ٨٤ نفسه

[4] - ص ٩٠ نفسه

إليه في الهواء في عمود من نور "[1] ليتعلم الطب، ولما برع فيه " بلغ به الأمر إلى أن عُبد "[2] وجالينوس كما زعموا " فَصَدَ نفسه بناء على أمر جاءه في الرؤيا"[3].

وقصد الناس المعابد للشفاء من كل داء، حتى من الأمراض الصعبة التي تأتي بالأحلام والرؤيا "[4] والكوابيس و" كان الروتين التقليدي للشفاء أن يقضي المريض ليلتين متتاليتين في مهجع بالمعبد مخصص لهذه الغاية، حتى يظهر الإله في الحلم، ويكشف ما يجب عمله لإعادة الصحة للمريض ـ حيث كان الإله يتكلم بلغة الأحلام والرموز التي يفسرها أو يأولها الكهنة "[5] وبالطبع سيستغل الكهنة ما لديهم من طب تجريبي في تكريس عقيدة الشفاء بالآلهة عن طريق المعبد في ثنايا تأويلاتهم.

---

[1] ـ ص ٨٥ نفسه

[2] ـ ص ١٠٣ نفسه

[3] ـ ص ٦٧ نفسه

[4] ـ ص ٦٩ نفسه

[5] ـ ص ١٦٠ أميرات سوريا حكمن روما

الانسان ومذ وجد كان لديه الرغبة في معرفة المستقبل ليتجنب ما قد يؤذيه سعياً لخير أفضل ولتأمين الخيار الأحسن، والمعبد يؤمن للناس ما يريحهم لتأمين مصالحهم والاطمئنان على مستقبلهم، فالإله أبولون " كان معبده في دلفي يعتبر من أهم المعابد الإغريقية قدسية على الإطلاق، يحج إليه الإغريق من كل حدب وصوب لاستشارته في أمور خاصة وعامة "[١]. و" إن بعض الورعين كانوا ينامون أحياناً في الهياكل، كهيكل ترقا في ماري، لتلقي الوحي الرباني "[٢] " والإله الشمسي برحيبول في تدمر، هو الذي كان يجيب على الأسئلة المطروحة"[٣]. " وكان ثمة صنف من الكهنة عند الكنعانيين، يتألفون من القدشيم أو المكرسين للألوهة، كانوا يقومون بدور الرائين "[٤] وعند الإغريق أيضاً، اشتهر الإله زيوس بالتنبؤ ومعرفة المستقبل، فقد " كان الناس، يتوافدون إلى معبده في مدينة دودونا، أو في غيرها حيث تتواجد معابده، للإستفسار منه عن أحداث المستقبل، فكانوا يحصلون على

---

[١] - ص ٣٩ الآثار الكلاسيكية

[٢] - ص ١٠٨ ماري

[٣] - ص ٨٥ الديانات السورية القديمة

[٤] - ص ٥٩ نفسه

اجابات أسئلتهم بطرق عجيبة، يستخلصها الكهان من صوت حفيف أوراق شجرة بلوط قديمة، أو من بعض أوان نحاسية معلقة في أغصانها، أو من هديل الحمام الواقف عليها، أو من خرير مياه أحد الينابيع ـ وكان يعمل في معبد الإله ابللون فريق من الكهنة، أشهرهم ـ "بيثا " حيث كانت تتقمص روح الإله، وتذهب في غيبوبة لتهذي بكلمات تتضمن الإجابة، على كل ما سأل عنه السائلون، فيتلقاها الكاهن، ويفسرها لأصحابها "[١] وفي اليونان: " يكتبون التماساتهم على قصاصات من ورق، وبعد أن يلوكوها بأفواههم، يقذفونها إلى التماثيل، فإذا التصقت بها، كان معنى ذلك إجابة الالتماس "[٢] " والغرف الكائنة تحت الأرض في المعبد كانت غالباً تستخدم لتلقي النبوءات "[٣] فاستطلاع الغيب بواسطة النوم في المعابد، عادة قديمة ".

والمعبد أو الكهنة هم المسؤولون عن دفن الموتى، وإلا فالويل كل الويل على الميت وذويه إن دغنوه دونهم، ولكن أجورهم مرتفعة، فقد

---

[١] ـ ص ٣٧١ مجلة عالم الفكر عـ١٩٨٢٤. الكويت

[٢] ـ ص ٣٥٩ المعتقدات الدينية لدى الشعوب

[٣] ـ ص ٨٤ تاريخ سورية القديم

كان الكاهن إلى زمان الملك أوروكاجينا في بابل " يتقاضى على مراسم الدفن ٧جرار من الخمر و٤٢٠رغيفاً من الخبز، و١٢٠ "كا" من الحبوب، وكساءً واحداً وجدياً وسريراً واحداً "[١] وفي اليابان: " إن نظام توكو جاوا، قد أرسى تقليداً يقضي بأن تسجِّل كل أسرة، انتسابها لبعض المعابد البوذية، كرعايا لتلك المعابد "[٢]. وبالمعبد تتم المحافظة على الأنساب: " يحفظ اليابانيون أنسابهم بلوحات معدنية أو خشبية، مدون عليها أسماء أقرب الأجداد، يحفظونها في المعابد البوذية "[٣] " ويستخدم اليابانيون المعابد، كأماكن يعقدون فيها حفلات الزواج "[٤].

الولائم المقدسة التي ترافق الاحتفالات الدينية، كانت منتشرة في المعابد و" قاعة الولائم في الغالب هي نفسها مكان العبادة "[٥]، ففي تدمر " تلعب الموائد المقدسة، دوراً هاماً ـ وتحمل كافة هذه الجمعيات الدينية في سوريا كلها، اسم مرزياح، أي أخوية، وتذكر عدة تدوينات في تدمر

---

[١] ـ ص ٣١ بلاد ما بين النهرين

[٢] ـ ص ٣١٠ اليابانيون

[٣] ـ ص ١٨٤ نفسه

[٤] ـ ص ٣١٣ نفسه

[٥] ـ ص ٢٧ المعبد السوري

أخوية كهنة بل، وكان رئيسها الذي يكلف سنوياً بهذه المهمة، ينتخب من بين الشخصيات الهامة، وكان يحمل لقب " رئيس الندوة " "[1]. وحصراً للمدعوين لهذه الولائم اعتمدوا نظام البطاقات أو القسائم "[2] وقد كان بعض الملوك، يجيزون حق الإجارة لبعض المعابد وهذا ما فعله الملوك السلوقيون "[3]، وكانت هذه العادة عند الثموديين من قبل، تُعرف " بحق اللجوء إلى المعبد "[4] يلجأ إليها الفارون من الظلم والمجرمون " وكان القانون الإغريقي يمنع قطعاً، تسليم الأجانب الذين فروا لإنقاذ حياتهم"[5]. " وقانون مدينة ترالا الصادر عام ٣٢١ق.م، يهدد بالموت، كل من يؤذي مصلياً التجأ إلى حرمة معبد ديونيسيوس "[6].

وطالما لا مواثيق في السياسة إلا المصلحة، فقد قتل اندرونيل السلوقي كاهن أورشليم آونيا، رغم التجائه إلى معبد دافنا. وزوجة أنطوخ الثامن، قتلت أختها كليوباترا، وهي ممسكة بالإلهة في المعبد.

---

[1] ـ ص ٨٥ ـ ٨٦ الديانات السورية القديمة

[2] ـ ص ٢٥ الحياة الدينية في سوريا

[3] ـ ص ١٤٦ الدولة السلوقية

[4] ـ ص ١٠١ تاريخ ثمود

[5] ـ ص ١٢٧ الدولة السلوقية

[6] ـ ص ١٢٨ نفسه

وبالفعل فإن ما يأتي عن طريق الملوك أو السياسة، فهو بالقطع لخدمتهم، ليس إلا!

ـ خلاصة حول طبيعة المعبد:

نواة المعبد أو الديانة الوثنية هو الكاهن وما يسعى إليه من ثروات ورخاء وسلطة هو الهدف، فهو المسؤول عن جمع القرابين والتقدمات والكفارات والتقديس وأجور الدفن والتنبؤ والشفاء وإدارة مزارع الإله وفرض الضرائب على الشعب، هذا كله يجتمع في خزائنه، خزائن المعبد وما يقدمه من مساعدات للمحتاجين من ولائم وشفاء للمرضى وفكاك للأسرى واعطاء القروض إنما هو من البراهين التي لها تبرير وجود المعبد أو الكاهن، لا لأن المعبد لخدمة المؤمنين.

المعبد أو الكاهن صلة الوصل بين الآلهة والبشر، ولا عبادة ولا صلة مباشرة بين الإله والمؤمنين، وكل العبادة قرابين وتقدمات وتكرار لأساطير الآلهة في احتفالات سنوية أو موسمية، وأهمها طواف حول تمثال الإله أو حول المعبد، ومن أجل هذه العبادة كان صنع الكهنة للخشوع ابتداء من ضخامة المعبد وزينته بالذهب والفضة والأسرار والنحت والرسوم وتماثيل الحراسة وجلال وأبهة الكهنة وثيابهم المميزة،

وجاذبيـة الغنـاء والموسـيقا وفـرق المنشـدين ومـن أجـل ضـمان ارتبـاط الشـابات والشـباب بالمعبـد كـان مـا سـموه العهـر المقـدس، ولضـمان مصالحهم كان صراعهم مع الملوك إلى حد إذلالهم إن استطاعوا.

فالصلة بين الإله والمعبد، إنما تنحصر فيما يريده العبد من الإلـه. ولكل شـيء ثمـن، وإلا فمـا نفـع الإلـه السـاكن فـي المعبـد. فللإلـه القرابين وللمعبـد تحقيـق مـا يشـاء، فالمصـلحة مشـتركة بينهمـا وإلا فمـن أيـن يـأتي الإله بطعامه وشرابه ونسائه؟! فارحموا الرب يرحمكم الرب!

ـ المعبد عند اليهود:

المعبد اليهودي حلقة من حلقات تاريخ المعابد، والبيئـة المحيطـة بـه وثنية الطابع، فهل سينجو من مؤثراتها الجبارة أو سيصـلحها لمعنـى آخـر

جديد في فهم الألوهية وعلاقة الخالق بالمخلوق، وهل له التحرر من الربط بين الإله وحلوله في المكان أو التمثال وتعدد الآلهة وإن كان فلأي حال سيصير إليه الكهنة، أم سيبقى الكهنة تماماً كما كانوا من قبل، وهل لليهودية القوة على الانعتاق من فكرة القرابين كأساس للعبادة، هذا ما سوف نراه ونتعرف إليه.

ـ **اليهود بين التوحيد وتعدد الآلهة:** لقد نهى يهوه أو الرب اليهود عن اتخاذ المسبوكات والتمثيل، وقال:" ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يُسمع من فمك "[١] " لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها "[٢]. وبالمقابل يقول أنبيائهم:" الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي "[٣] " لا مثل لك بين الآلهة يا رب "[٤] " من مثلك بين الآلهة يا رب "[٥] " الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة "[٦] هذا معناه أن اليهود مازالوا عبر

[١] ـ خروج ٢٣: ١٣

[٢] ـ خروج ٢٣: ٢٤

[٣] ـ مزمور ٨٢: ١

[٤] ـ مزمور ٨٦: ٨

[٥] ـ خروج ١٥: ١١

[٦] ـ خروج ١٨: ١١

تاريخهم الطويل بين شد وجذب بين ما كان من عقائد وبين ما هو جديد، إنه القلق الواضح الذي لم يرسُ إلى حال مستقرة.

ـ طقوس بناء المعابد:

أرض المعبد مقدسة، والرب يحدِّد مكانه بالوحي أو الرؤيا أو الأمر ولم لا طالما المعبد مسكنه ومكان راحته؟ " فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقاً أن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء، وبكَّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل "[1] " وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله "[2] " ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك "[3] " ثم صعد الله عنه في

---

[1] ـ تكوين ٢٨: ١٦ ــ ١٩

[2] ـ تكوين ٢٨: ٢٢

[3] ـ تكوين ٣٥: ١

المكان الذي فيه تكلم معه "[1]. " وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا حيث تراءى لداود أبيه "[2].

فالرب إذاً قد حل بالمكان، وحيث حل تكون الأرض المقدسة لبناء المعبد.

ـ **مكونات المعبد اليهودي:** إن عناصر ومكونات المعبد الوثني هي نفسها مكونات المعبد اليهودي، وهي كما يلي:

١ ـ المذبح: " وصنع مذبح المحرقة من خشب السنط، طوله خمس أذرع وعرضه خمس أذرع. مربعاً، وارتفاعه ثلاث أذرع "[3] " والنار على المذبح تتقد عليه لا تطفأ، ويشعل عليها الكاهن حطباً كل صباح "[4]. لإعداد طعام الرب " وتوقد كل الكبش على المذبح، هو محرقة للرب، رائحة سرور، وقود هو للرب "[5] فالرب يستمد قوته أو وقود قوته من روائح المحرقات، وهل سيرضى اليهود بالضعف لربهم؟! ومن أجل

---

[1] ـ تكوين ٣٥: ١٣

[2] ـ أخبار اليوم الأول ٣: ١

[3] ـ خروج ٣٨: ١

[4] ـ لاويين ٦: ١٢

[5] ـ خروج ٢٩: ١٥

الروائح كانت مذابح البخور " وصنع مذبح البخور من خشب السنط طوله ذراع وعرضه ذراع، مربع، وارتفاعه ذراعان"[1] فلا بد من أجل الإله من " مذبح البخور "[2].

٢ ـ خزانة الرب: " الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد وجعلوها في خزانة بيت الرب "[3].

٣ ـ المنبر: " سليمان صنع منبراً من نحاس وجعله في وسط الدار " أي المعبد " طوله خمس أذرع وعرضه خمس أذرع وارتفاعه ثلاث أذرع "[4].

٤ ـ البحر أو البحيرة وكان قائماً على اثنى عشر ثوراً لكل جهة ثلاثة أثوار، ليغتسل فيه الكهنة، وفيه عشر مراحيض لغسل المحرقات.

٥ ـ بيت الأقداس والكروبين، والكروب تمثال طائر بجناحين كل جناح بطول خمسة أذرع، وبيت الأقداس أو قدس الأقداس لوضع التابوت فيه، تابوت العهد "وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في

---

[1] ـ خروج ٣٧: ٢٥

[2] ـ أخبار اليوم الأول ٢٨: ١٨

[3] ـ يشوع ٦: ٢٤

[4] ـ أخبار اليوم الثاني ٦: ١٣

محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكروبين"[1] " هيكل الرب الذي فيه تابوت الله "[2] فالرب أمر موسى بوضع التابوت في بيته " وتضع فيه تابوت الشهادة "[3] " وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكروبين، لأن الكروبين بسطا أجنحتهما على موضع التابوت "[4] و" لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب "[5].

والملاحظ أن اليهود لم يتحرروا تماماً من قضية التماثيل حتى جعلوا الكروبين والأثوار في بيت الله. ولكن التابوت كعنصر جديد، فيه نقلة نوعية عما يريده الله من عبيده بأوامر وتعليمات واضحة معلنة للجميع وهذا ما كانت تفتقر إليه المعابد القديمة طالما كان التشريع فيها تبعاً لإرادة الكاهن حسبما يمر به من ظروف، فتعميم ما يريده الله من المؤمنين فكرة جديدة على ما سبقها من عقائد.

---

[1] - أخبار اليوم الثاني ٥: ٧

[2] - صموئيل ٢: ٣

[3] - خروج ٤٠: ٢

[4] - الملوك الأول ٨: ٦ -٧

[5] - الملوك الأول ٨: ٩

٦ ـ الذهب والزينة: اليهود ومن أجل اصطناع الخشوع زينوا المعبد بالفضة والذهب " تسع وعشرين وزنة وسبع مائة شاقل وثلاثون شاقلاً بشاقل القدس، وفضة المعدودين من الجماعة مئة وزنة وألف وسبع مئة شاقل وخمس وسبعون شاقلاً بشاقل القدس "[١] " وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص "[٢] " وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بالذهب "[٣]" وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشاً بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج "[٤] ومن غنى المعبد اليهودي بزينة الفضة والذهب أصبح محل اعتداء وفضح حرمة فلما فرض ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا الجزية " ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب، فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزانة بيت الملك. في ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك أشور "[٥]

---

[١] ـ خروج ٣٨: ٢٤ ـ ٢٥

[٢] ـ الملوك الأول ٦: ٢١

[٣] ـ الملوك الأول ٦: ٢٢

[٤] ـ الملوك الأول ٦: ٢٩

[٥] ـ الملوك الثاني ١٨: ١٤ ـ ١٦

إضافة إلى أن ما في المعابد من ذهب وذهب الزينة كان مطمعاً لكثير من الملوك " وقد انفجرت الخصومات الأولى بين السلوقيين واليهود حول موضوع كنوز معبد أورشليم "[1]. حيث صمم " أحد ملوك السلوقيين على أن يضع يده على كنز الهيكل "[2].

٧ ـ فرق المغنين والمنشدين والتنبؤ: في التعاليم القديمة للرب عند اليهود: " لا تدع ساحرة تعيش "[3] " متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر، ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند إلهي "[4] واختلفت المسألة بعدئذ فنُعت النبي بالرئي أو العراف وشاؤول يقول: هو ذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا عن طريقنا "[5] فـ " النبي

---

[1] ـ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة

[2] ـ ص ٤٨٨ نفسه

[3] ـ خروج ٢٢: ١٨

[4] ـ تثنية ١٨: ٩ ـ ١٢

[5] ـ صموئيل الأول ٩: ٧

اليوم كان يدعى سابقاً الرائي "[1] وطالما أن النغم أو الموسيقا تساعد على الوجد المؤدي إلى التنبؤ فقد اعتمدها اليهود في معابدهم " وأفرز داود ورؤساء الجيش للخدمة بني آساف وهيمان ويدوثون المتنبئ بالعيدان والرباب والصنوج "[2]. " زمرة من الأنبياء ـ أمامهم رباب ودف وعود وهم ينبأون "[3] وزمان داود " كل هؤلاء تحت أبيهم لأجل غناء بيت الرب بالصنوج والرباب والعيدان لخدمة بيت الله ـ وكان عددهم مع أخوتهم المتعلمين الغناء للرب كل الخبيرين مئتي وثمانية وثمانين "[4] ونافخي الأبواق هم أيضاً كُثر" واللاويون المغنون أجمعون آساف وهيمان ويدوثون وبنوهم وأخوتهم لابسين كتاناً بالصنوج والرباب والعيدان واقفين شرق المذبح ومعهم من الكهنة مئة وعشرون ينفخون بالأبواق "[5] والمغنون " أقامهم داود على يد الغناء في بيت الرب بعد ما استقر التابوت، وكانوا يخدمون أمام مسكن خيمة الاجتماع بالغناء إلى

---

[1] ـ صموئيل الأول ٩: ٩

[2] ـ أخبار اليوم الأول ٢٥: ١

[3] ـ صموئيل الأول ١٠: ٥

[4] ـ أخبار اليوم الأول ٢٥: ٦ ـ ٧

[5] ـ أخبار الأيام الثاني ٥: ١٢

أن بنى سليمان بيت الرب في أورشليم فقاموا على خدمتهم "[1] " وجعل أمام تابوت الرب آساف الراس وزكريا ثابيه ـ بآلات رباب وعيدان، وكان آساف يصِّوت بالصنوج وبنايا ويحزئيل الكاهن بالأبواق دائماً أمام تابوت عهد الله "[2].

وقد كان عدد المنشدين في المعبد قبل موت داود " أربعة آلاف مسبحون للرب بالآلات التي عملت للتسبيح"[3] الرب هو الذي كتب لليهود الأناشيد، وجعلها من وسائل الدفاع عن شعبه حيث قال لموسى: " فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا وعِّلم بني اسرائيل إياه "[4].

فالموسيقى لاستحضار الوجد على حد تعبير أهل التصوف والتنبؤ والإنشاد في المعبد قد رافق كل مراحل المعبد اليهودي ابتداء من خيمة الاجتماع أول معابدهم لما كانوا على التجوال والترحال إنتهاء ببنائهم المعبد الثابت على الأرض وهم بهذا لا فرق بينهم وبين الوثنيين.

---

[1] ـ أخبار الأيام الأول ٦: ٣١ ـ ٣٣

[2] ـ أخبار الأيام الأول ١٦: ٤ ـ ٥

[3] ـ أخبار الأيام الأول ٢٣: ٥

[4] ـ تثنية ٣١: ٢١

٨ ـ الكهنة: الشعب اليهودي كله كما يقول الرب " أنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة "[١] ثم اختار منهم سبط لاوي " وأفرز هارون لتقديسه قدس أقداس هو وبنوه إلى الأبد ليوقد أمام الرب ويخدمه "[٢]، وقال الرب لموسى " وقرِّب إليك هرون أخاك وبنيه من بين بني اسرائيل ليكهن لي "[٣] اللاويون لا عمل لهم إلا الكهانة والطعام من بحبوحة الرب، من المعبد، وزمان خيمة الاجتماع يقول الرب " بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة ـ وحول المسكن ينزلون ـ والأجنبي الذي يقترب يُقتل ـ وأما اللاويون فينزلون حول مسكن الشهادة لكيلا يكون سخط على جماعة بني إسرائيل، فيحفظ اللاويون شعائر مسكن الشهادة"[٤].

فالذي يقصد مواردهم من بقية الأسباط ليشاركهم فيها أو في أعمالهم فهو أجنبي حكمه القتل.

---

[١] ـ خروج ١٩: ٦

[٢] ـ أخبار الأيام الأول ٢٣: ١٢

[٣] ـ خروج ٢٨: ١

[٤] ـ عدد ١: ٥٠ ـ ٥٣

أما مواردهم فهي مرعبة ولا حصر لها، وقد كلم الرب هارون قائلاً: " هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار كل قرابينكم مع كل تقدماتكم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم ـ هي لك ولبنيك في قدس الأقداس تأكلها ـ كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة أبقارهن التي يعطونها لك أعطيتها، أبقار كل ما في أرضهم التي يقدمونها للرب لك تكون "[1] ويقول الرب: " أعطيتهم كل عشر في إسرائيل ميراثاً عوض خدمتهم "[2]. ومن مهامهم " تطهير كل قدس ـ خبز الوجوه ودقيق التقدمة ورقاق الفطير وما يعمل على الصباح والمربوكات وعلى كل كيل وقياس، ولأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه وكذلك في المساء، ولكل إصعاد محروقات للرب في السبوت والأهلة والمواسم ـ وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع وحراسة القدس وحراسة بني هارون اخوتهم في خدمة بيت الرب "[3] وهم أيضاً مسؤولون عن " خزائن بيت الرب والأقداس "، والكاهن يغفر الذنوب

---

[1] ـ عدد ١٨: ٩ ـ ١٣

[2] ـ عدد ١٨: ٢١

[3] ـ أخبار الأيام الأول ٣٣: ٢٨ ـ ٣٢

إن تم تقديم قربان الخطية " ويكفر عنه الكاهن من خطيته التي أخطأ فيصفح عنه "[1].

ـ **الكهنة والملوك:** الكهنة مسؤولون عن تنصيب الملوك، فلا ملك شرعي إن لم يأمر الرب الكهنة بتنصيبه ومسحه بالزيت، وإن أخطأ الملك وزاحمهم السلطة أو الكهانة فهو معزول حتماً " وقال صموئيل لشاول: إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل "[2] " وملَّكوا هناك شاول أمام الرب في الجلجال وذبحوا هناك ذبائح سلامة أمام الرب"[3].

ولما تجرأ شاول على الكهنة حيث قدَّم المحرقة بنفسه، قال له صموئيل الكاهن " فقال صموئيل لشاول: قد انحمقت، لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد، وأما الآن فمملكتك لا تقوم "[4] وقصص الكهنة مع الملوك والانتقام منهم كثيرة جداً في كتابهم المقدس، والرب يقول:

---

[1] ـ لاويين ٤: ٣٥

[2] ـ صموئيل الأول ١٥: ١

[3] ـ صموئيل الأول ١١: ١٤

[4] ـ صموئيل الأول ١٣: ١٣ ـ ١٤

"والرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك أو للقاضي يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من اسرائيل"[1].

أما عدد كهنة الرب الذين يرتعون في بيته " جميع المعدودين من اللاويين الذين عدَّهم موسى وهارون حسب قول الرب بعشائرهم كل ذكر من ابن شهر فصاعداً اثنان وعشرون ألفاً "[2]. فهؤلاء هم الذكور فقط، بينما كل فرد من سبط لاوي من النساء والرجال والأولاد كلهم يعيشون على موارد المعبد، وداود قبل موته:" فعد اللاويين من ابن ثلاثين سنة فما فوق فكان حسب رؤوسهم من الرجال ثمانية وثلاثين ألف"[3].

ومن الملاحظ أن قضية الكهنة قد سارت إلى ما هو أسوأ مما كانت عليه في المعبد الوثني، فهذا الجيش الضخم أصبح مرتبطاً بسلالة تزداد عدداً مع الأيام، ولهذا فقد اجتهد كهنة اليهود لامتصاص دم الشعب بكل

[1] - تثنية ١٧ ـ ١٢

[2] - عدد ٣: ٣٩

[3] - أخبار الأيام الأول ٢٣: ٣

وسيلة استطاعوا تطبيقها، حيث لا عمل لهم إلا خدمة الرب ومشاركته الطعام والشراب.

ـ **المعبد اليهودي بيت سكن للرب:** إن للمعبد اليهودي مرحلتين الأولى حيث كانوا على حال الترحال حيث أمرهم الرب بصنع خيمة الاجتماع كمعبد مؤقت، والثانية بناؤهم المعبد حيث أصبح لهم دولة مستقرة على الأرض.

لقد أمر الرب شعبه ببناء خيمة الاجتماع فحدَّد أبعادها وغرفها لتكون بيت سكن وراحة له كما حدَّد ما يجب أن يكون عليه ثياب الكهنة وبالتفصيل الممل، يقول: " وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً، فيعلمون أني أنا الرب إلههم الذي أخرجهم من أرض مصر لأسكن في وسطهم، أنا الرب إلههم "[1] ولما تمَّ بناءها قال الرب: الآن " أنا ساكن وسطهم "[2] " فتراءى الرب في الخيمة في عمود سحاب ووقف عمود السحاب على باب الخيمة "[3] " نزل الرب في سحابة "[4] " فنزل الرب

---

[1] - خروج ٢٩: ٤٥

[2] - عدد ٥: ٣

[3] - تثنية ٣١: ١٤

[4] - عدد ١١: ٤٥

في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة، ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما، فقال اسمعا كلامي "[1] والمعبد أو الخيمة " السحابة تغطية ومنظر النار ليلاً، ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون، وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون "[2] " وفي المساء كان على المسكن كمنظرنا نار إلى الصباح "[3] والرب دليلهم في ترحالهم فهو " سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً "[4] وربما أن الفوهات النفطية في الصحراء التي تتراءى بسحابة دخان نهاراً وبالنار ليلاً ظنوها الإله فسعوا وراءها حتى كان التيه الذي دام أربعين سنة، والله أعلم.

ولما تعب الرب من التجوال والترحال ولما استقر اليهود في الأرض المقدسة، قال الرب: " أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي "[5] و" قال الرب ـ لداود ـ أأنت تبني لي بيتاً لسكناي، لأني لم

---

[1] ـ عدد ١٢: ٥ ـ ٦

[2] ـ عدد ٩: ١٦ ـ ١٧

[3] ـ عدد ٩: ١٥

[4] ـ عدد ١٤: ١٤

[5] ـ اشعياء ٦٦: ١

أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن "[١] ولم يبن داود المعبد أو بيت الرب فبناه ابنه سليمان، و" وجه البيت نحو المشرق "[٢] وقال سليمان " إنه يسكن في الضباب، وأنا بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكناك إلى الأبد "[٣] " وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب، حينئذ تكلم سليمان، قال: الرب، إنه يسكن في الضباب، إني قد بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكناك إلى الأبد "[٤] وقال الرب لسليمان الآن "أسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل"[٥].

---

[١] - صموئيل الثاني ٧: ٣ – ٦

[٢] - حزقيال ٤٧: ١

[٣] - أخبار الأيام الثاني ٦: ١

[٤] - الملوك الأول ٨: ٩ – ١٣

[٥] - الملوك الأول ٦: ١٣

ـ المعبد اليهودي وتمثال الرب:

يقول الرب: " لا تلتفتوا إلى الأوثان وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم "[1] " لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالاً منحوتاً أو نصباً ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له "[2]. ولكن ما قصة تجسيم الإله وتحديده بالمكان والزمان والحاجة والتعب وما إلى ما هنالك؟! فداود يقول عن بيت الرب: إنه " لموطئ قدمي إلهنا "[3] " علُّوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه "[4]، وإشعياء يقول: " رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل "[5] " هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة "[6] " فأخذ حزقيا الرسائل من يد الرسل وقرأها ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها حزقيا أمام الرب "[7] " رب

---

[1] ـ لاويين ١٩: ٤

[2] ـ لاويين ٢٦: ١

[3] ـ أخبار الأيام الأول ٣٨: ٢

[4] ـ مزمور ٩٩: ٥

[5] ـ اشعياء ٦: ١

[6] ـ اشعياء ١٩: ١

[7] ـ اشعياء ٣٧: ١٤

الجنود الساكن في جبل صهيون "[1] " وإذا الرب واقف على حائط وفي يده زيج "[2] " رأيت السيد قائماً على المذبح "[3] " هو ذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشي على شوامخ الأرض "[4]. " وجاء الشعب إلى بيت إيل وأقاموا هناك إلى المساء أمام الله "[5] " فامتلأ البيت من السحابة وامتلأت الدار من لمعان مجد الرب "[6] " وإذا بمجد الرب قد ملأ البيت، وسمعته يكلمني من البيت، وكان رجل واقفاً عندي، وقال لي: يا ابن آدم هذا مكان كرسي ومكان باطن قدمي حيث أسكن في وسط بني إسرائيل إلى الأبد "[7] وإمعاناً في التجسيم جعلوا للرب مدخلاً خاصاً لدخول بيته أو مسكنه " طريق باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق وهو مغلق،

---

[1] - اشعياء ٨: ١٨

[2] - عاموس ٧: ٧

[3] - عاموس ٩: ١

[4] - ميخا ٣: ١

[5] - قضاة ٢١: ٢

[6] حزقيال ١٠: ٤

[7] - حزقيال ٤٣: ٥ – ٧

فقال لي الرب: هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، فيكون مغلقاً"[1].

ملاحظة: لو نسب اليهود هذا التحديد للإله بجبريل لكان هناك مكاناً للتأويل، ولكنهم لم يذكروا جبريل إلا على لسان دانيال النبي بعد أكثر من ألف سنة على خروجهم من مصر على أنه رسول من الله إليه "[2] بل بالعكس فقد كره كهنة اليهود جبريل لأنهم أرادوها علاقة مباشرة مع الله دونما وسيط من مَلَكٍ أو سواه.

لا تمثال للإله في معبد اليهود، ولا حاجة له فالإله نفسه يأتي ليحل في قدس الأقداس بمعبده أو مسكنه، والسحابة أصبحت كبديل للتمثال، وبقيت عقيدة الحلول الوثنية حية وفاعلة في المعبد اليهودي.

ـ الكهنة وطعام الرب: الرب يأكل المحرقات، ولا بد من صنع مائدة أو منضدة له ليأكل عليها فالرب أمر بصنع المائدة: " وتصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع

[1] ـ حزقيال ٤٤: ١ ـ ٢

[2] ـ دانيال ١٠: ١١

ونصف، وتغشيها بذهب نقي "[1] فموسى: " وجعل المائدة في خيمة الاجتماع ـ. ورتب عليها ترتيب الخبز أمام الرب، كما أمر الرب موسى "[2] " ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن "[3] فقد جاء الرب لتناول وجبته من الطعام، وما يذبح كقربان " أما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب"[4] ،" والباقي من التقدمة هو لهارون وبنيه "[5]. فمن أجل أن يأكل الكهنة كل الأجزاء الجيدة من الذبيحة، قالوا بأنه لا سرور للرب إلا بالروائح وروائح سقط القرابين فيها الكفاية لإعطاء الإله السرور والوقود وبناء عليه: فما هو جيد منها يكون من نصيب الكهنة، وفضلاتها من شحم وأمعاء فهو من نصيب الإله.

وعن كيف يأكل الرب ما يقدم له من طعام في المعبد، نجد زمان إيليا النبي: " فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة

---

[1] - خروج ٢٥: ٢٣ ـ ٢٤

[2] - خروج ٤٠: ٢٢ ـ ٢٣

[3] - خروج ٤٠: ٣٤

[4] - لاويين ١: ١٠

[5] - لاويين ٢: ٣

والتراب ولحست المياه التي في القناة "[1] أما زمان يوآش وابنه جدعون فقد ظهر ملاك الرب لهما " فدخل جدعون وعمل جدي معزى وإيفة دقيق فطيراً، أما اللحم فوضعه في سل وأما المرق فوضعه في قدر وخرج بها إليه إلى تحت البطمة وقدمها، فقال له ملاك الله: خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة واسكب المرق، ففعل ذلك، فمد ملاك الرب طرف العكاز الذي بيده ومس اللحم والفطير فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير، وذهب ملاك الرب عن عينيه"[2].

والملاحظ أن عقيدة إطعام الرب واستغلالها لصالح الكهنة هي أيضاً ولا فرق في ذلك بين كهنة اليهود وكهنة المعابد أما القرآن فقد ألغى نهائياً وجود الكهنة من الديانة، ونفى حاجة الله إلى الطعام، وملائكته لم تمد يدها إليه، فالمعبد اليهودي عجز عن التغيير أو التطور ولا تطور حقيقي ولا تغير إلا بالإسلام أو المسجد الذي اعتمد الإنسان كل إنسان كقيمة قائمة بذاتها، وهذا ما سوف نراه إن شاء الله.

---

[1] ـ الملوك الأول ١٨: ٣٨

[2] ـ قضاة ٦: ١٦ ـ ٢١

أما ما استطاع اليهود تغييره بالفعل فهو إلغاؤهم للعهر المقدس من المعبد حيث قال الرب: " لا تكن زانية من بنات إسرائيل ـ لا تُدخِل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك "[1]. رغم وجود حوادث زنا فردية حيث كان بعض الكهنة " كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع "[2]. وكانوا يعاقبون على أفعالهم.

ـ **الكنيسة والمعبد الوثني:** أما كنيسة النصارى، فقد استمر فيها بعض عناصر المعبد القديم، كالتماثيل والموسيقى والإنشاد مع بعض التغيرات الجوهرية " فإن الكنيسة المملوءة بتماثيل ومنحوتات، تمثِّل المسيح والعذراء والقديسين، خاصة تمثال " مارجرجس " أو " الخضر " الذي هو " البعل " قديماً، هذه الكنائس، كانت ولا تزال تشبه وإلى حد بعيد المعابد السابقة والمعاصرة للمسيحية "[3]، وهي بهذا تأثرت بالمعبد ولا أثر هنا لليهودية، التي منعت اتخاذ التماثيل والرسوم في معابدها.

---

[1] ـ تثنية ٢٣: ١٧ ـ ١٨

[2] ـ صموئيل الأول ٢: ٢٢

[3] ـ ص ٥١ الأصول الكنعانية للمسيحية

المذبح من عناصر الكنيسة الرئيسية: " وهو منضدة توضع عليها أدوات الصلوات، من صلبان ومباخر وأجراس وكؤوس، وكتب، وإلى ما هنالك "[1]، " ولا بد أن يكون المذبح، عند تقاطع المصلى، بممر معترض، يصنع مع المصلى هيئة صليب، وفي ذراعي الصليب تُنشأ غرف للقسس والشمامسة، وغرف لحفظ أدوات الكنيسة وذخائرها وتبنى فوقهما مكاتب للأسقف ومساعديه، ومسكن للأسقف، ولا بد كذلك من مصليات صغيرة، حول المصلى الكبير، ومقاصير للاعتراف، ومن الضروري أن يكون هناك أرغن لمصاحبة الأناشيد وإلى ما هنالك "[2] والتغيير هنا بالنسبة للمذبح، إنما في استبدال الذبائح الحيوانية وإحراقها، بتلك الأدوات التي تخص المذبح.

وازدهرت الموسيقا بالكنائس، خاصة في مطلع القرن الرابع على يد " افرام "، وأيضاً " قام البابا غريفوار الكبير، بتنظيم الغناء الطقسي الليتورجي وتنسيقه، وهو الغناء الذي عُرف فيما بعد، باسم الغناء

---

[1] - ص ٧٧ المساجد

[2] - ص ١١٨ – ١١٩ نفسه

الغريفوري، وهو في أصله، الغناء السوري القديم "[1]. الذي كان منتشراً في المعابد الوثنية." ووصف يعقوب السروجي أناشيد أفرام: بأنها نغمات وترانيم أثلجت صدور المؤمنين"[2].

والكنيسة كما المعبد في تسجيل الزواج، وحفظ المستندات، وإلى ما هنالك، وما زال الكاهن فيها يغفر الذنوب، ويزيل الآثام، تماماً كما كان من قبل.

كما تأثرت المسيحية، بالمعابد، فيما يسمى التبتل، الذي كان مفروضاً على الكهنة في بعض المعابد، ففي اليونان " مثلاً قضت العادة بأن يمتنع كهنة الإله ديمتريوس عن الاتصال الجنسي، وأن يغتسلوا بعصير السوكران السام لقتل شهوتهم " وآخرون، كانوا يخصونهم "[3] فقد " كانت العزوبية مفروضة على رؤساء الديانة، السحرة، في الجماعات البدائية، الذين يتصلون بالقوى الخفية "[4] وفي بعض الجماعات، كانت العزوبية مفروضة على النساء اللائي ينذرن أنفسهن

---

[1] - ص ٦٧ الأصول الكنعانية للمسيحية

[2] - ص ٦٨ نفسه

[3] - ص ٦٧ الزواج عند العرب

[4] - ص ٦٤ نفسه

للآلهة، ففي المكسيك والبيرو ـ لا يحل لإنسان أن يلمسهن أو يراهن، ولو كان من الأقربين "[1] وفي الصين كانت العزوبية تفرض على الكهنة البوذيين، وعند قدماء الفرس، كانت العزوبية مفروضة على كاهنات إله الشمس، والرومان فرضوها على كاهنات معبد النار المقدسة " وعند بعض الجماعات القديمة تعتبر الكاهنات زوجات للإله الذي يقمن بخدمته، ويُحرَّم عليهن الزواج من غيره ـ وفي معبد الإله جوبتر، كانت تنام فيه امرأة عزباء، اختارها هذا الإله من دون النساء، لتكون زوجة له، ويحرم عليها أن يمسها إنسان "[2]. وهذا هو الأصل في وجود تبتل الرهبان والراهبات في الكنائس، فإن نذر أحدهم أو إحداهن، نفسه لخدمة الإله أو ابنه، فلا حقَّ له أو لها بعدئذ بالزواج أو ممارسة الجنس، وبهذا كان الأثر المسيحي الأبرز في القضاء على العهر المقدس الذي كان سمة رئيسية من سمات المعبد الوثني.

والمحراب أو الحنية الذي كان مخصصاً لوضع تمثال الإله في المعابد، استمر موجوداً في الكنيسة لوضع تمثال المسيح، ومن حنيته،

[1] ـ ص ٦٥ نفسه

[2] ـ ص ٦٦ نفسه

يبرز الجدار بروزاً كاملاً " خارج نطاق الكنيسة، مما يؤدي إلى انحناء الجدار كله "، " وقد حافظت أول الكنائس المسيحية على هذا الطراز المعماري"[1]. ومن الكنيسة انتقل المحراب المجوَّف إلى المسجد، كبدعة اتُخذت لتوفير صف للمصلين.

وبما احتاجت إليه الكنيسة، من غرف للكهنة والكاهنات على مختلف مراتبهم، ومن مكاتب لتسجيل الزواج والعقود، ومن مخازن للنواقيس والصلبان والمأثورات والمباخر، والأكواب والمناضد والملابس الخاصة، والتماثيل، والأيقونات، وفرق المنشدين وآلاتهم الموسيقية، من هذا كله وغيره، كانت ضخامة الكنائس التي إن قورنت بالمساجد التي " أضخمها لا يقاس بكنيسة كانتر بري في لندن، أو النوتردام في باريس، أو القديس بطرس في روما، أو الدوم في كولونيا، أو سماركو في البندقية، فهذه كلها جبال إذا قيست إلى المساجد - إن مباني أعظم المساجد ليست بشيء بجانب صغار الكنائس والبيع ومعابد الهندوكيين، البوذيين "[2].إن ضخامة الكنائس والمعابد، وبما تميزت فيه

---

[1] - ص ٨٧ المعبد السوري

[2] - ص ٣٢ – ٣٣ المساجد

من زينة وبذخ، إنما هو لإيجاد الخشوع في قلوب الرواد من جهة، ولسد حاجات الكهنة وما يقومون به من وظائف من جهة أخرى، ومن أجل الخشوع أصبحت ملابس الكهان مصممة على هيئات خاصة، ذات أثر نفسي بالغ، ولهذا أيضاً كانت المجامر والبخور والأضواء الخافتة، والأناشيد وما يرافقها من الموسيقى والألحان المهيبة.

واستمرت المسيحية كما اليهودية من جهة أخرى، على ربط العبادة بالمواسم والأعياد دون تعميمها بالسلوك اليومي، وليس إلا عند دانيال النبي عند اليهود، ذُكرت الصلاة الخاصة به، على أنها ثلاث صلوات في اليوم، بركوع ودعاء وحمد "[1] دون ذكر تعميمها على كل المؤمنين، والكنائس أيضاً " والكنائس أيضاً لم يكن يؤذن للناس بالدخول إليها إلا في أوقات الصلوات، أما الذين يريدون أن يدخلوا الكنيسة للدعاء، فلا يتخطُّون بهو الكنيسة ذا المقاعد، ولا يقتربون من المذبح أو الهيكل، إلا تحت بصر السدنة والقوَّمة "[2]. أما الصلاة فليست للجميع، والقس ليس إمام الصلاة، بل هو الوحيد الذي يصلي، أما ما يسمى بالمصلين،

---

[1] - دانيال ٦: ١٠

[2] - ص ١٢٥ المساجد

فيتـابعون مـا يعمـل ويؤمِّنـون علـى مـا يقـول، وقـد يركعـون بإشـارته، ثـم يعودون إلى مواقعهم بإشارته أيضاً، ويردِّدون فقرات معينـة عنـدما يشـير إليهم بذلك، فهم في الحق ليسوا مصلين وإنما هم في حالة صلاة "[١].

[١] - ص ٧٧ نفسه

ـ الكعبة والمعابد:

مراحل أربعة مرت بها الكعبة:

١ـ مرحلة ما قبل إبراهيم.

٢ـ مرحلة إبراهيم.

٣ـ مرحلة وجودها بين العرب الوثنيين.

٤ـ مرحلة وجودها في الإسلام.

ـ مرحلة إبراهيم وما قبل إبراهيم: لما ترك إبراهيم زوجه هاجر وولده إسماعيل بأرض مكة كان يعلم أنه تركهم عند بيت الله المحرم حيث قال كما ذكر القرآن: " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم "[١] فالبيت المحرم كان موجوداً قبل بناء إبراهيم للكعبة، علماً أن المسافة التي تفصل بين ذكره البيت المحرم وبناء الجدران تقدر بالمسافة ما بين الرضيع والشاب من عمر إسماعيل.

وقد نعت الله البيت المحرم بالقديم: " وليطوفِّوا بالبيت العتيق "[٢]، ولكن ما الذي كان موجوداً من البيت العتيق؟ إنها القواعد وقد دلَّه الله

---

[١] ـ ابراهيم: ٣٧

[٢] ـ الحج ٢٩: ٣٣

إليها " وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت "[1] ليبني الكعبة أو الجدران عليها وقد نوَّه الله إلى الفصل بين ما كان وما بناه إبراهيم بقوله: " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "[2]، فإبراهيم يرفع القواعد من البيت القديم أو العتيق، ببناء الجدران فوقها، وحيث بدأ عمله هذا قال: "ربنا تقبل منا".

لقد تم بناء البيت أو إعادة بنائه، وبظهوره هذا كان البيت الأول للعبادة الذي رآه الناس الموجودون بمحيط مكة أو تلك الأرض أو المارون للتجارة من الناس لا أن ما بناه إبراهيم هو الأول على الإطلاق " إن أول بيت وضع للناس للذين ببكة مباركاً وهدى للعالمين "[3]. ولبيان أن ما بناه إبراهيم عن أمر من الله ذكر الله إعجاز مقام إبراهيم حيث أثر قدميه على حجر صلد: " فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً "[4] ولتذكُّر الإعجاز وما قام به إبراهيم من الفصل بين المعابد والبيت المحرم أو بين الوثنية والتوحيد في العهد الجديد قال تعالى:

---

[1] - الحج: ٢٦

[2] - البقرة: ١٢٧

[3] - آل عمران: ٩٦

[4] آل عمران: ٩٧

"واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"[١] لا لأن هذا الحجر قد أصبح وثناً للعبادة وإنما لعبادة الله الذي فعل ذلك الأثر بالحجر. ولقد قال تعالى: "جعل الله الكعبة البيت الحرام "[٢] "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً"[٣] فإذا كان الجَعل كما هو معلوم لِما لم يكن من قبل، فالكعبة التي بناها إبراهيم أو الجدران أصبحت من البيت المحرم الذي كان، والبيت الحرام الحديث أصبح مؤلفاً من قسمين القواعد القديمة وما بناه إبراهيم عليها.

ـ **مكة والبيت المحرم:** سكان تلك البقاع زمان إبراهيم كانوا على شظف من العيش فالجوع وانعدام الأمن والأمان سمة من سمات وجودهم : " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات "[٤] " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً "[٥] " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وآمناً "[٦] وكانت مكة وأصبح الناس يقصدونها في عبورهم التجاري أو من أجل التجارة فانتعشت أحوال ساكنيها، مما أدى

[١] ـ البقرة: ١٢٧

[٢] ـ المائدة: ٩٧

[٣] ـ البقرة: ١٢٥

[٤] ـ البقرة: ١٢٦

[٥] ـ ابراهيم: ٣٥

[٦] ـ البقرة: ١٢٥

إلى وجود الأمان الذي تصبو إليه القوافل التجارية ومما أشيع وانتشر من أخبار المعجزات التي حدثت مع إسماعيل حيث نبع الماء بقدميه إلى وجود مقام إبراهيم كان الرسوخ المعنى المقدس لتلك البقعة، ومن احترام المقدس كان الأمان لدى كل من سمع تلك الأخبار أو وطئ تلك الأرض.

وقد بيَّن لنا سبحانه المنافع التي جنتها مكة من الكعبة حيث قال: " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد "[1].

فبناء الكعبة لقيام الناس ومساعدة لهم في حياتهم حيث الزوار والتجار، ومن وجودها كان ترسيخ فكرة القانون بما يعنيه شهر الله أو الشهر الحرام الذي منع فيه الحرب والقتال ومن قلائدها ومما يهدي لها سينتفع الناس منه في حياتهم، وهنا لفتة هامة لبيان أن القرابين ليست لبطون الكهنة بالأساس ولا لأن الله بحاجة للطعام والشراب وإنما لمساعدة الناس ولبيان أثر الكعبة على حياة العرب زمان الرسول قال تعالى: " لإيلاف قريش، إلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "[2] فالبيت أو الكعبة كان لمساعدة

---

[1] - المائدة: ٩٧

[2] - قريش: ١ – ٤

مكة في النهوض والوقوف على قدميها اقتصاديا وأمنياً، بينما المعابد كما رأينا قد أنشئت لاستهلاك أهل وسكان المدينة التي أنشئ فيها المعبد ومن ثم تسخير ما لديها من ثروات لصالح الكهنة.

ـ الكعبة والعبادة زمان إبراهيم: الكعبة بيت عبادة: " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود، وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ـ "[١] فليس من أصنام أو أوثان في هذا البيت، فلا تمثال للإله، ولا حلول للإله في التمثال وكل العبادة طواف واعتكاف، ركوع وسجود، ومدار هذا كله على الاعتقاد باليوم الآخر الذي فيه الحساب، فلا شرك ولا أصنام وقد دعى إبراهيم ربه: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام "[٢] " فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين "[٣].

---

[١] ـ البقرة: ١٢٥ ـ ١٢٦

[٢] ـ ابراهيم: ٣٥

[٣] ـ آل عمران: ٩٥

فالكعبة كانت ثورة جامعة على ما كانت عليه طبيعة المعابد، وبسيرتها التي نقرأ اتضح لنا الفرق بينها وبين المعابد وهو كما يلي:

ـ لا أصنام ولا أوثان ولا مغنوُّن ومنشدون ولا عواهر في هذا البيت.

ـ لا كهنة في هذا البيت لامتصاص ثروات المدن التي أنشئت فيها المعابد الوثنية، وكل ما يقدم للكعبة إنما لمساعدة المدينة وسكانها وكأنها مجمَّع لفعل الخير، فلا قرابين من أجل التنبؤ بالغيب ولا أجساد النساء قرابين يتمتع بها الكهنة ولا الإله بحاجة للطعام والشراب كما زعمت المعابد لتبرير القرابين.

ـ الاعتقاد باليوم الآخر الذي فيه الحساب على الأعمال نسفت من الجذور زعم الكاهن لغفرانه الذنوب، كما عزز وجود العمل الصالح كنواة للدين، فلا كهانة تحتكر العلاقة مع الله ولا واسطة بين العبد وربه.

ـ المقدس أو الأرض المقدسة للكعبة ـ إن صح التعبير ـ، لم تكن للأرض بذاتها، إنما لأمر الله ببناء الكعبة في المكان الذي حدده سبحانه وتعالى فلا قدسية عن طريق التنجيم ولا قدسية من موقع ذكر في أسطورة من الأساطير.

ـ الكعبة بنيت لإحياء البيت العتيق، أي لبيان الصلة بين الماضي والحاضر فالأصل هو التوحيد، وبإعادة التوحيد تكون الدعوة لإصلاح المعابد وردها إلى ما كانت عليه، فالشرك والوثنية حالة طارئة استقرت على تشويه الدين من الأساس، فحيث كان النبي مصدر الدين أصبح الكهنة هم المصدر، وكأنهم زعموا النبوة لأنفسهم فالنبوة هي الأساس وبيوت عبادتهم جعلوها معابد.

إن مهمة النبي في بيت الله هي المحافظة على عقيدة التوحيد وبثها بين العباد والمحافظة على طهارته من أجل العبادة: " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود"[١] "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود"[٢].

فمهمة النبي في بيت الله، أو من يخلفه من الكهنة ـ إن جاز التعبير ـ هي مهمة مزدوجة، التوحيد والطهارة خدمة للمؤمنين المتعبدين، ثم تشوَّه هذا المعنى بفعل الزمن وأصبح الكاهن لخدمة الرب أو تمثاله،

---

[١] ـ الحج: ٢٦

[٢] ـ البقرة: ١٢٥

كتأمين غسله يومياً وتأمين طعامه وشرابه ونسائه وإلى ما هنالك، وحلت الوثنية محل التوحيد وانتشرت عقيدة الحلول محل عقيدة التوحيد وأصبحت الخدمة للتمثال لا للمتعبدين، وبُعث إبراهيم وكان دوره الرئيسي إعادة الأمور إلى ما كانت عليه منذ القدم أو بالأصل، ونحب هنا أن ننوه إلى دوره في إلغاء القرابين البشرية التي تفشَّت لاستبدالها بالأضاحي الحيوانية، فالإصلاح بالفعل هو المغزى الرئيسي لبعثة إبراهيم عليه السلام.

ـ الكعبة والأمان صنوان، فلا نساء يفقدن شرفهن إن دخلن إليها، ولا تماثيل حراسة تبث الرعب وتقطع الأنفاس للمتعبدين ولا كهنة يسحقون المؤمنين بأبهة هيأتهم وأسرارهم، ولا فِرق للمنشدين تتلاعب بالمشاعر كيفما شاءت وأحبَّت، وقد دعى إبراهيم ربه " رب اجعل هذا البلد آمناً " فأجيبت دعوته وقال تعالى عن بيته:" ومن دخله كان آمناً".

ـ الطواف حول البيت قديم جداً طالما كان للأنبياء بيوت، وقبل أي معبد كان وقد استمرت هذه الشعيرة في المعابد، بفعل الذاكرة الشعبية ولكنها انحرفت عما كانت تعنيه، فأصبحت طوافاً حول تمثال الإله تارة وحول المعبد تارة أخرى، وليس صدفة اقتران الطواف بالبيت العتيق

بقوله تعالى " ليطوفوا بالبيت العتيق "[1]، فالطواف حول البيت معناه السعي لربط أنفسنا على الدوام بما كان عن رب البيت من عقيدة وتشريع، ولا فرق في ذلك بين حال من السلوك دون حال، وهو ما تعنيه الحركة الدائرية أو الطواف، والفرق بين الطواف حول الكعبة أو البيت والطواف حول المعبد حيث تمثال الإله فيه أو حول تمثال الإله فرق شاسع إنه الفرق بين التوحيد والوثنية، فالكعبة عند إبراهيم والمسلمين بعده ليست وثناً يُعبد ولا شيء فيها من الأوثان والتماثيل وإنما نجلُّها ونطوف حولها لأنها بيت الله الذي كان منه الهداية إلى التوحيد بعد الضلال، لأنها بنيت على أمر إلهي من أجل الإصلاح ولقد قال تعالى: " فليعبدوا رب هذا البيت "[2] أي: لا عبادة للبيت، إنما لرب البيت.

ـ في قضية مقام إبراهيم يبيِّن الله لنا الأصل في كيفية انحراف المعجزة للمعنى الوثني، فالمقام حجر فيه معجزة، ومع مضي الزمن ونسيان ما حدث سيتخذ هذا الحجر قدسية له بذاته، ليصبح الحجر أو صاحب الأثر موضع تقديس وعبادة، وعرب ما قبل الإسلام عبدوا

---

[1] ـ الحج ٢٩: ٣٣

[2] ـ قريش: ٣

الكثير من الحجارة التي نسبوا لها الكثير من المعجزات وهم يقولون: " لتقربنا إلى الله زلفى "، فحجر مقام إبراهيم بما فيه من أثر قدميه عليه، إنما كان شهادة لصدق دعوى إبراهيم في زمنه على أن ما أتاه من تعاليم وأوامر إنما هي من الله القادر على كل شيء، لا لأنه إنسان إلهي بطبيعته. ولذكرى دائمة على ما قام به من إصلاح ونشر للتوحيد.

ملاحظة حول قدم الكعبة: لقد تعرض بعض المفسرين لمعنى "البيت العتيق" وللمعنى من قِدم "القواعد من البيت" وكان أن تبرعوا بتفاسير أسطورية كثيرة، فنسبوا قدمها إلى ما قبل نوح عليه السلام، حيث رفعها الله عند الطوفان إلى الجبل ثم أعادها بعده إلى مكانها، وقد نسبوا بناءها إلى آدم عليه السلام بعد أن استعانوا بأحاديث ضعيفة أو موضوعة: " عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال، قال رسول الله ﷺ: بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا لي بيتاً، فخط لهما جبريل، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ـ.

قال البيهقي: تفرد به ابن لهيعة. قلت "أي ابن كثير ": وهو ضعيف"[1].

---

[1] ـ ص ٢٢٩ ج٢ البداية والنهاية

وكذلك نسبوا بناءها ووجودها إلى ما قبل آدم عليه السلام، والثعلبي كأحد صناع الأساطير التفسيرية وجمعها، روى في تفسيره " الكشف والبيان " في معرض تفسير الآية " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ـ ": " إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، فكانت زبدة بيضاء على الماء، فدُحيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله آدم إلى الأرض كادت رأسه تمس السماء حتى صلع وأورث أولاده الصلع، ونفرت من طوله دواب البر فصارت وحوشاً من يومئذ، وكان يسمع كلام أهل السماء وتسبيحهم ودعائهم فيأنس إليهم، فهابته الملائكة واشتكت نفسه، فنقَّصه الله تعالى ستين ذراعاً بذراعه، فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة استوحش وشكا ذلك إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى بيتاً ياقوتة من يواقيت الجنة ـ فوضعه على موضع البيت الآن، وقال: يا آدم إني أهبطت لك بيتاً تطوف به كما تطوف الملائكة حول عرشي ـ وأنزل عليه الحجر الأسود ليمسح به دموعه، وكان أبيض، فلما لمسه الحيض في الجاهلية اسود"[1].

---

[1] ـ ص ٥٥ الإسرائيليات

و "عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: كان البيت قبل الأرض بألفي سنة " وإذا الأرض مدت ". قال: من تحته مُدَّت. وقد تابعه منصور عن مجاهد "[1]، وقال ابن كثير: وهذا غريب جداً أما اليماني فروى أن آدم كان في الهند لما أهبط الله الكعبة عند مكة " فتوجه آدم عليه السلام إلى مكة ورأى البيت فطاف به "[2] وقد حج من الهند " أربعين حجة على رجليه ـ إن خطوته مسيرة ثلاثة أيام "[3] ولما التقى آدم بالملائكة عند البيت، قالت الملائكة: " لقد طفنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوماً "[4].

والملاحظ أن هؤلاء المفسرين اقترحوا هذه الأساطير لتفسير قوله تعالى " إن أول بيت وضع للناس " حيث أصبح معنى " وُضع " على معنى أُنزل من السماء أو من مكان مرتفع كجبل نوح وسوى ذلك وبذلك يتحقق المعنى للبيت " العتيق " حسب تفاسيرهم.

---

[1] ـ ص ٢٩٨ ج٢ البداية والنهاية

[2] ـ ص ٧٥ عرائس المجالس

[3] ـ ص ٧٦ نفسه

[4] ـ ص ١٦٣ ج١ البداية والنهاية

تضارب الأساطير وتناقضها ليس بمشكلة عند صُناع الأساطير طالما لكل منهم التخيلات التفسيرية التي يرتئيها، وهؤلاء مصابون بعقدة الحصول على العلم الشامل، فلا شيء مبهم لديهم، ولا شيء إلا وله تفسير، وحتى اللامذكور والمسكوت عنه يقولون بتحديده وكأنهم كانوا مع الحدث، هذا شأنهم على الدوام، وقد ابتلي المسلمين بهم، وصدَّقهم العامة والجهلة، حتى كاد معنى الدين والإسلام، أن ينقلب إلى المعنى الأسطوري، ويا له من خطر عظيم.

وهناك ملاحظات أخرى يجب التنويه إليها، وهي رأي علي بن أبي طالب بمتى كان بناء البيت: " عن خالد بن عرعرة: أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وضع للناس؟ فقال: لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام إبراهيم عليه السلام "[1].

والملاحظ أن علياً لم يُجب مباشرة عن السؤال، بل أجاب بالمعلوم له من القرآن بما خصَّ الله الكعبة بعد أن بناها إبراهيم، دون نفي لِقدم بيوت الله، أو قدم القواعد من البيت، فالبركة والمقام مما خص الكعبة

[1] - ص ٧٦ عرائس المجالس. ص ٢٩٩ ج٢ البداية والنهاية. ص ١٥٣ ج١ تاريخ الأمم والملوك

ورافق بناءها، ولا أظن أن علياً قصد إلى تجريد بيوت الله كالبيت المحرم الذي كان قبل إبراهيم من البركة " فالقرآن الكريم يثبت ان البيت الحرام كان قائماً قبل إبراهيم"[1].

ـ **الكعبة ومقام إبراهيم:** يقول تعالى عن البيت المحرم: " فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً " " والآية في مقام إبراهيم تأثير قدميه فيه وهو حجر صلد"، ولم يحدد الله أي حال لحدوث الأثر، وكل التحديد أنه[2] حجر عليه آثار قدمي إبراهيم، أما " السدي " فزعم أنه الحجر الذي أتت به زوجة إسماعيل لإبراهيم، كي يضع عليه قدميه وهي تغسل رأسه، وتأكيداً لخبرها عن زيارته قالت لإسماعيل: " وهذا موضع قدميه على المقام "[3]. كما جاء في بدائع الزهور" إن الحجر الذي يُعرف بمقام إبراهيم، كان إذا بنى وقف عليه، فكان يرتفع به إذا ارتفع البناء، وتارة يهبط به إذا أراد الأرض "[4] فهو إذا كالمصعد!! أما ما يمكن قوله ونحن على صواب أن المقام، وُضع في البيت كذكرى تنفع

---

[1] ـ ص ١٧ أنساب العرب

[2] ـ ص ١٥٩ الأحكام السلطانية

[3] ـ ص ٧٣ عرائس المجالس

[4] ـ ص ٧١ بدائع الزهور

المؤمنين وقد استمرت هذه الذكرى إلى زمان النبي محمد ﷺ، " وقد قال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسه الناس بأيديهم "[١] " فمحى ذلك من كثرة الأيام والليالي"[٢]. وقد اقترح عمر بن الخطاب على الرسول أن يكون المقام مُصلًّى، فنزلت الآية " فاتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " فصلى الرسول ركعتين عنده، وقال أبو نعيم: أن المعنى للصلاة عند المقام هو الدعاء، وقال مجاهد: مصلى أي: مدَّعى يُدعى فيه، أما قتادة فقد جعله موضع صلاة يصلى عنده، والحسن قال: هو قبلة يقف الإمام عنده "[٣] وعلى كل وبأي معنى شئت لم يخرج المقام عن الذكرى وكل الحج ذكرى لما حدث مع إبراهيم وزوجه وولده في تلك الديار ولكنها على شأن مختلف من استعادة الوثنيين تمثيل أحداث الأساطير التي كانت عن آلهتهم في المواسم والأعياد السنوية.

---

[١] - ص ٧٣ عرائس المجالس

[٢] ص ٧١ بدائع الزهور

[٣] - الجامع لأحكام القرآن

ـ الكعبة وعرب ما قبل الإسلام: وانتقل ابراهيم إلى جوار ربه ومرت السنوات الطويلة، وبقي إبراهيم مذكوراً عند العرب وبقيت الكعبة مقدسة يجلُّها الجميع، وكان من سنة العرب "أن كل من علا الكعبة من العبيد فهو حر، لا يرون المُلك على من علاها، وكانوا لا يبنون بيتاً مربعاً، تعظيماً للكعبة، وكان أول من بنى بيتاً مربعاً هو حميد بن زهير، أحد بني أسد ابن عبد العزى"[1]. واحتدم الصراع تارة أخرى بين الوثنية والتوحيد، ومن خلال هذا الصراع سنرى كيف يكون الانحراف عن التوحيد أو عن البيوت نحو المعابد، نحو الشرك، فلما كانت حجابة البيت المحرم بيد خزاعة" أدخل عمرو بن لحي الأصنام إلى الكعبة، أتى بها من الشام للاستسقاء بها، وفي ذلك يقول شحنة بن خلف:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة   *شتى بمكة حول البيت أنصابا*
وكان للبيت رب واحد أبداً   *فقد جعلت له في الناس أربابا*
لتعرفن بأن الله في مَهَل   *سيصطفي دونكم للبيت حجابا"*[2]

---

[1] ـ ص ٤٤٧ ج٣ كتاب الحيوان

[2] ـ ص ٣٠ ج٢ مروج الذهب

فبـانحراف كهنتهـا أو حجَّابهـا انحرفـت الكعبـة عـن التوحيـد بمـا وضعوه فيها وحولها من أوثـان وتماثيـل، وقد جـيء بتماثيلها من خـارج جزيرة العرب، حيث " لـم يكـن العـرب أصـحاب صـنعة فـي التماثيـل "[1]، وعام الفتح حيث النصر للتوحيد على يدي النبي محمد ﷺ على الوثنية دخل محمد البيت " فرأى صور الملائكة وغيرهم ورأى إبراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بهـا، فقـال: قـاتلهم الله جعلـوا شيخنا يستقسم بـالأزلام، مـا شـأن إبـراهيم والأزلام ـ ثـم أمـر بتلـك الصـور فطمسـت "[2]. ثـم أمـر بالأصنام التـي فيهـا وحولهـا فحطمـت " وكـان فـي حيطانهـا صـور كثيـرة بأنواعهـا مـن الأصـباغ عجيبـة، فمنهـا صـورة إبـراهيم الخليـل فـي يـده الأزلام، ويقابلها صورة إسماعيل ابنـه علـى فـرس يُجيزه بالنـاس مفيضـاً في نحو من ستين صورة، مع كل واحدة من تلك الصـور إلـه صـاحبها، وكيفية عبادته، وما اشتهر من فعله "[3] فقد عادت التماثيل والصور وتعدد

---

[1] ـ ص ٣٤٥ ج١ بلوغ الأرب

[2] ـ ص ٣٠١ ج٤ البداية والنهاية

[3] ـ ص ٢٧٢ ج٢ مروج الذهب

الآلهة إلى الكعبة بيت التوحيد، والكهنة هم المسؤولون بالدرجة الأولى عن هذا الانحراف.

ومن أفعال الحُمس أو الكهنة لاستغلال الكعبة وشعائرها لمصالحهم ومنافعهم أنهم " ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ـ فقالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم، إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحُمس، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة ـ أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب وهي كذلك، تطوف بالبيت: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله "[1] فالكهنة إذاً حرَّموا على العرب الحل إذا دخلوا الحرم، ولا طعام يمكن شراؤه إلا عن طريقهم، وكذلك قالوا بالنسبة للثياب، وإلا فلا طواف إلا على العري الذي حدث، وهذا معناه ابتداء الدخول بمرحلة العهر التي رافقت المعابد.

أما عن إدخالهم الأناشيد والرقص إلى شعائر العبادة، فقد " عرف الجاهليون نوعاً من الغناء الجماعي في التلبية والتهليل في الطريق إلى

[1] ـ ص ٢٠٢ ج١ السيرة النبوية لابن هشام. ص ٢٤٤ ج١ بلوغ الأرب

الحج، وفي أثناء الحج "[1]، " وكانوا يصفرون، ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بالكعبة، وقد جاء في القرآن الكريم: " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية "[2] أي صفيراً وتصفيقاً، ولكننا لم نسمع باستعمالهم الآلات الموسيقية من ناي وصنج وقيثار على نحو ما استعمل في معابد منبج، وماري وبابل ومصر "[3].

إن مرحلة الغناء والرقص المصاحب للعبادات الطقوسية قد عرفها العرب كما عرفها غيرهم "[4]. مع التنويه أنه لا غناء ولا رقص في ديانة التوحيد، وما كان هذا إلا بما استحدثه كهنة الكعبة في شعائرها وطقوسها بعد زمن طويل من إبراهيم عليه السلام.

---

[1] ـ ص ١٨١ تاريخ العلوم عند العرب

[2] ـ الأنفال: ٣٥

[3] ـ ص ٧٢ ـ ٧٣ المجادلة الحضارية

[4] ـ ص ٢٥ أديب الأسطورة عند العرب

ـ المسجد وحضارة الإسلام:

المساجد قمة التطور فيما يخص المعنى الحضاري لبيوت العبادة أو المعابد، فالحضارات القديمة، حتى الحضارة الحديثة تعتمد على الفائض المادي أو الاقتصادي، فليس للإنسان الموسيقا والرقص والنحت والغناء وتزيين القصور والمعابد بالذهب والفضة والجواهر إلا بما لديه من فائض عن ضرورات العيش، وهذا الفائض إما للدولة ككل وإما لزمرة وشريحة أو لطبقة من الطبقات، فالكهان باستيلائهم على ثروات الشعب وخيراته، كان لديهم الفائض المادي الكبير، فبنوا به المعابد الضخمة، ووضعوا فيها التماثيل من ذهب وحجر وحجر كريم، وزينوها بما لم يخطر على بال كما وضعوا فيها فِرق الرقص والمنشدين والموسيقيين، بآلاتهم على اختلافها وتعددها ونحتوا كما رسموا أساطير آلهتهم على الجدران. فانتعش الفن بكل سبله وكان للمعابد ما يخلب اللب ويبهر الأبصار. أما الشعب فيعيش بخيام أو مساكن حول الإله أو المعبد تلك الخيام التي يصعب التخلص من أقذارها، ومن هنا قلنا أن الفن الذي لازم المعبد إنما لجعل المتعبِّد على الخشوع رغماً عنه.

وجاء الإسلام، وكان المسجد، وأصبح الإنسان أياً كان شأنه المادي محور الحضارة وعمودها الأساس، ولننطلق الآن للتعرف على مسجد النبي ﷺ. ولكن على افتراض أنه لا موت للذاكرة الشعبية التي تسعى لإحياء ما كان قبل الإسلام عن طريق السهو أو العمد أو الاستحسان.

لا أرض مقدسة للمسجد ولا طقوس تقديس ترافق البناء وقد قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: " نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً "[1]، ولما هاجر من مكة إلى المدينة وصلها على ناقته، وتدافع المسلمون لضيافته، ودفعاً للتفاضل بينهم، قال: دعوها فإنها مأمورة، ولما حطَّت عند دار بني مالك بن النجار نزل عندهم، ثم بنى مسجده، وقيل: حيث بركت الناقة "[2]، وهو ما قاله الزهري المتوفي سنة ١٢٤هـ، والصواب أو الأصح أن أرض المسجد كانت أرضاً بوراً قريبة من دار أسعد بن زرارة "[3]. ولا علاقة لها بمبرك الناقة والطبري يقول: " الصحيح عندنا في ذلك ـ عن أنس

[1] ـ ص ٤١ ج٦ البداية والنهاية

[2] ـ ص ٤٩٥ ج١ السيرة النبوية لابن هشام

[3] ـ ص ٥٩ المساجد هامش

بن مالك، قال: كان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجار، وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية، فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنوني به، فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلا عند الله، فأمر رسول الله ﷺ بالنخيل فقُطع، وبالحرث فافسد، وبالقبور فنبشت، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك يصلي في مرابض الغنم، وحيث أدركته الصلاة "[1].

وعلى كل حال فإن كان المسجد مكان مبرك الناقة مقدساً فهو عن أمر إلهي، وليس لأحد زعم مقدس لأي أرض كانت، ولقد حدد الرسول ثلاث مساجد فقط تشد إليها الرحال للزيارة: "[2] الكعبة حيث ذكرى إبراهيم، وبيت المقدس حيث ذكرى داود وسليمان "[3]، ومسجد المدينة حيث ذكرى محمد ﷺ، صلوات الله على جميعهم، والمسجد الأموي كما هو معلوم كان معبداً ثم كنيسة زمان الفتح، وقد حولوه ببنائه إلى مسجد، فليس البحث عن الأرض المقدسة من شواغل المسلمين في بناء مساجدهم، فالأرض كلها طهوراً لا فرق بين أرض وأرض.

---

[1] - ص ٨ ج٢ تاريخ الأمم والملوك

[2] - ص ٢٢٠ ج٣ البداية والنهاية

[3] - ص ٣٥٠ مقدمة ابن خلدون

ودارت الأيام، وجاء الفاطميون، وأرادوا مقدساً لجامعهم الأزهر الذي فتح للصلاة سنة ٣٦١هـ "[١] فوضعوا به طلسماً لجعله مقدساً عن الطيور وما يرافقها: " إن بهذا الجامع طلسماً فلا يسكنه عصفور، ولا يفرخ به، وكذا سائر الطيور، من الحمام واليمام وغيره، وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة، كل صورة على رأس عمود، فمنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس، منها صورة في الجهة الغربية في العمود، وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين، والصورة الأخرى في الصحن في الأعمدة القبلية مما يلي الشرقية "[٢]، أما إخوان الصفا اللامشكوك في سعيهم للعودة إلى ما قبل الإسلام، قالوا: " وحدود المشتري في البروج سبب " أو مناسبة " لحدوث المساجد والهياكل والبيع ومواضع الصلوات وبقاع القرابين "[٣].

وهكذا تكون المحاولة لإعادة السحر والتنجيم والنحت والرسم إلى المساجد، ومن طبيعة الصراع بين ما كان من حضارات وعقائد وما

---

[١] - ص ١١ الأزهر

[٢] - ص ٥٢ ج٤ الخطط المقريزية. ص ١٢ الأزهر. ص ٤١١ ج٣ صبح الأعشى. هامش

[٣] - ص ١٣٧ ج٢ رسائل إخوان الصفا

جاء بـه الإسلام، أن المجوس عبدة النـار " احتـالوا بـأن قـالوا للمسلمين: ينبغي أن تُجمَّر المساجد كلها، وأن تكون فـي كـل مسـجد مجمـرة، يوضـع عليها الند والعود في كل حال. وكانت البرامكة قد زيَّنـوا للرشـيد أن يتخـذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً، فعلـم الرشـيد أنـهم أرادوا من ذلك عبـادة النـار فـي الكعبـة، وأن تصـير الكعبـة بيـت نـار، فكـان ذلـك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة "[1].

ــ **بسـاطة المسـجد النبـوي:** المسـجد النبـوي هـو المؤسسـة الأولـى والأهم في دولـة الإسلام التـي أسس أركانـها محمد ﷺ، " عـن الحسـن، قـال: لمـا بنـى رسـول الله ﷺ المسجد أعانـه عليـه أصـحابه وهـو معهـم يتنـاول اللبن، حتى اغبرَّ صدره"[2] فجدرانه من اللبن وسقفه مـن الجريـد وأعمدتـه جذوع نخل، وفَرشُ أرضه بحص وحصـا ومـاذا بعدئذ؟ " عـن عبـادة أن الأنصـار جمعـوا مـالاً فـأتوا بـه النبـي ﷺ، فقـالوا: يـا رسـول الله ابـن هـذا المسجد وزينه، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟ فقال: ما بي رغبـة عـن

---

[1] ـ ص ٢٧٠ الفرق بين الفرق

[2] ـ ص ٢١٥ ج٣ البداية والنهاية

أخي موسى، عريش كعريش موسى "[1]، ولما جدَّد عمر بن الخطاب مسجد الرسول ﷺ " أوصى البنَّاء بألا يحمرَّ أو يصفِّر حتى لا يفتن الناس " ولكنها الأيام، ولما هدم مسلمة بن مخلد مسجد عمرو بن العاص في مصر زمان معاوية ليوسعه، بناه، فلما بناه " غطى الجدران بالجص وفرش أرضه بالحصر بدلاً من الحصا"[2].

" وبُني لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجر لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء "[3] ولكم كان يشتاق إلى مسجده فـ " إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس "[4] ولما مات النبي ﷺ دفن في حجرة عائشة، وفي سنة ٨٨هـ أمر الوليد بن عبد الملك، بهدم المسجد النبوي وتوسيعه " فدخل القبر في المسجد - ويُحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد، كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً"[5]

---

[1] - ص ٢١٥ ج٣ نفسه

[2] - ص ٢٩ الآثار الإسلامية الأولى

[3] - ص ٢٢٠ ج٣ البداية والنهاية

[4] - ص ٢٤ ج٥ نفسه

[5] - ص ٧٥ ج٩ نفسه

المسجد لنشر الدعوة وإقامة الصلوات، وليس هذا فحسب، ففيه أعلن الرسول دستور دولته، حيث قال في أول خطبة صلاها بالمدينة: الحمد لله أحمده وأستعينه، واستغفره واستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ـ من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً ـ واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية ـ خذوا بحضكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ـ وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيى عن بينه ولا قوة إلا بالله "[1].

وبالمسجد أستقبل الرسول ﷺ الوفود، ولما أتاه النصارى بوفد من نجران " أُجيز له أن ينزل في مسجد الرسول "[2].

وقد " جعل الرسول في مسجده، مكاناً معيناً عرف بأسطوانة الوفود، يلقي به القبائل العربية وغيرهم من السفراء والمبعوثون إليه لأي

[1] ـ ص ٢١٣ ج٣ البداية والنهاية

[2] ـ ص ١٥ أنساب العرب

أمر من الأمور، كطلب العهد أو تجديده، أو تقديم الجزية وأموال الصدقة وغيرها من الأموال المستحقة لبيت مال المسلمين، أو للدخول في الدين الجديد "[1].

وبه أعلن البيانات الحربية، ففي غزوة مؤتة: الحرب مشتعلة " صعد رسول الله ﷺ المنبر، فأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ، فقال: أخبركم عن جيشكم هذا، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقُتل زيد شهيداً ـ ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة فاثبت قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفَر له، ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد، ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك، أنت تنصره "[2].

ولما تجمع الفرس سنة ٢١هـ لحرب المسلمين، زمان عمر بن الخطاب " نودي في الصلاة: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس ـ وقام على المنبر خطيباً ـ واستشارهم، وقال: هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ـ أفمن الرأي أن

---

[1] ـ ص ٢٩٩ المساجد

[2] ـ ص ٢٤٦ ج٤ البداية والنهاية. ص١٥١ ج٢ تاريخ الأمم والملوك.

أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه؟ ـ "[1]. إليهم، وكانت وقعة نهاوند الشهيرة.

كما استخدم المسجد مكاناً لعلاج الجرحى، ففي وقعة الخندق سنة خمسة هجرية " أقام الرسول عليه السلام خيمة في مسجده لرفيدة، ولما جُرح سعد بن معاذ، أرسله إليها "[2] كي تعالجه.

ولقد استُخدم المسجد كسجن شرعي، وروى أبو هريرة " أن الرسول حبس أحدهم في تهمة بالمسجد " واستمر الأمر على ذلك في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، إذ لم يكن هناك محبس معد لحبس الخصوم، وعندما اتسعت الدولة في عهد عمر بن الخطاب ـ ابتاع من صفوان بن أمية داراً بمكة "[3]. وجعلها سجناً.

وفي المسجد يكون عقد القران، وإعلان النكاح، وقد قال رسول الله ﷺ:" أعلنوا النكاح في المساجد".

---

[1] ـ ص ٥٢٣ ج٢ تاريخ الأمم والملوك

[2] ـ ص ٢٩١ – ٢٩٢ تاريخ العلوم عند العرب. ص ١٠٠ – ١٠١ ج٢ تاريخ الأمم والملوك. ص ١٢١ ج٤ البداية والنهاية

[3] ـ ص ١٢٤ عالم الفكر عـ١. ١٩٨. الكويت

فقد لعب المسجد النبوي " دوراً أساسياً في رسم السياسة الداخلية والخارجية للمجتمع الإسلامي -. وقد شكَّل المسجد إحدى المظاهر الحضارية المهمة"[1] وما كان عن المسجد من دور في بناء المجتمع الجديد فأكثر من أن يحصى، ففيه يجتمع الرسول بأصحابه لتعليمهم شؤون دينهم، وفيه يتشاورون حول المعضلات صغيرها وكبيرها، وفيه القضاء وفصل الخصومات: لقد كان الرسول ﷺ، يفصل بين الخصوم ويقضي لهم في المسجد واستمرت الحال هذه زمن الخلفاء الراشدين، وما بعدهم، وأصبح القضاء والقضاة في المسجد، ظاهرة شائعة، حتى كان الاحتجاج، باحتمال دخول الجنب والحائض والذمي إلى المسجد، وهو غير جائز، وباتساع الدولة التي لا بد لها من جهاز للقضاء كبير، بذلك تم فصل القضاء عن المسجد وأصبح من مهام الدولة، بعد أن كان من اختصاص الفقهاء الذين لا علاقة لهم بالدولة، إلا كسلطة تنفيذية.

أما ما منعه الرسول عن المساجد: أن تستخدم المساجد للمناداة على الضالة، فقد " أقبل أعرابي إلى النبي ص ينشده ضالة له، فقال له النبي

---

[1] - ص ٨٧ محور المجتمع الإسلامي الأول: الدولة الأنموذج للمجتمع المسلم

ص: لا وجدتها، لا وجدتها، إنما المساجد لِما بُنيت له "[1] وفي رواية: " إذا سمعتم ناشد ضالة في مسجد، فقولوا: لا ردها الله عليك".

كما نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، عن عائشة: قال رسول الله ﷺ " قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[2]. وسأل ربه " ألا يجعل قبره وثناً يُعبد ـ كما أمر بتسوية القبور"[3].

والمنافقين طردهم الرسول ص من مسجده، فبعض اليهود أسلموا كيداً للإسلام وأهله، " فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس، فرآهم رسول الله ص يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم، قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله ص فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً "[4] ولم تنته محاولات المنافقين، فحيث أدركوا أهمية المسجد في نشر دعوة الإسلام، دبَّروا إنشاء مسجد مضاهاة لمسجد قُباء، بزعامة أبو عامر الراهب كما كان يسمى في الجاهلية أو "

---

[1] ـ ص ٢١٩ ج٥ العقد الفريد

[2] ـ ص ٢٤٠ ج٥ البداية والنهاية

[3] ـ ص ٢١٤ بلوغ الأرب

[4] ـ ص ٢٤٠ ج٣ البداية والنهاية

الفاسق " عند المسلمين، حيث اتَّهم الرسول ص بأنه أدخل في الحنيفية ما ليس فيها، وقد ذهب إلى ملك الروم يستنصره على رسول الله ص، ومن هناك " كان يكتب إلى إخوته الذين نافقوا يعدهم ويمنيهم ـ فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة وباطنه دار حرب ومقر لمن يفد من عند أبي عامر "[1] وطلبوا من الرسول سنة ٩ هـ أن يباركه أو يصلي فيه ليكسبوا حمايته الشرعية، وقد كان يتجهز إلى تبوك، فوعدهم إلى حين عودته، وحيث كان " بذي أوان " عائداً، نزل عليه " والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً، وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ـ "[2] فـ" دعا رسول الله ص مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، فقال: انطلقا إلى المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه "[3] " فذهبا فحرقاه بالنار، وتفَّرق عنه أهله "[4].

[1] ـ ص ٢١ ج٥ البداية والنهاية

[2] ـ التوبة ١٠٧: ١٠٨

[3] ـ ص ١٨٦ ج٢ تاريخ الأمم والملوك

[4] ـ ص ٢٢ ج٥ البداية والنهاية

واستمر الضرار على مدار الزمان والأيام، حتى كانت له الأبنية والوزارات والمؤسسات، وسُخرت له العقول والأموال، " يريدون أن يطفئوا نور الله "، وهيهات أن ينتصر ضرار.

ملاحظة: إن منع النبي من انتشار المساجد على المدافن أو القبور، فيها نقلة نوعية نحو الإصلاح وبيان للفرق بين المعابد والمساجد، حيث رأينا كيف كان يبنى المعبد الوثني، فوق قبور أسلاف الملوك تقديساً لهم، فالمسجد لعبادة الله لا لتقديس الموتى أياً كان شأنهم " وإن المساجد لله ".

ومن المعنى العملي لمسجد الرسول ﷺ، استمرت مهام المسجد في دولة الإسلام، ففيه توزع الغنائم، ففي مصر " مسجد يتبرك به الأبرار، وهو المكان الذي قُسّمت فيه الغنائم عند فتح الصحابة رضي الله عنهم مصر "[١]، ومسجد عمرو بن العاص كان فيه بيت مال المسلمين، " حتى سرقه جماعة علي بن محمد سنة ١٤٥هـ زمان المنصور "[٢] ومسجد " الفسطاط " مثلاً كان مقراً لبيت المال زمناً طويلاً "[٣].

---

[١] ـ ص ٢٢٢ ج٣ الخطط المقريزية

[٢] ـ ص ١٠ ـ ١١ ج٤ نفسه

[٣] ـ ص ١٧٢ المساجد

إن للنساء مكانة في بيت الله، بشرط المحافظة على كرامتهن وعفتهن، يعبدون الله فيه كالرجال " وقد روى مسلم عن فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس، قالت: فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ص، ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ص، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم " وليس هذا فحسب، فقد خصص لهن الرسول ص يوماً " فوعظهن وأمرهن " واستمرت هذه السنة وامتدت، حتى اشتهر بعضهن بالوعظ والحديث والتدريس، فالشافعي في مصر كان يحضر مجلس نفيسة بنت الحسن في دارها ليسمع عنها الحديث، وعمر بن علي القزويني أخذ الحديث عن فاطمة بنت العدل تاج الدين وابن الجوزي أخذ الحديث عن فاطمة بنت إبراهيم البطائحي، وابن عساكر أخذ الحديث عن ملكة بنت داود وفاطمة بنت سهل وكريمة بنت أحمد المروزي وابن حجر ذكر أنه حصل على إجازتين الأولى من شمس بنت ناصر الدين محمد، والثانية: من خديجة بنت العماد الصالحية، أما عن الواعظات فكثر، منهن موفقية بنت عبد الوهاب السعدية، فقد كان لها مجلس وعظ وتذكير بالمسجد "[1]

---

[1] - ص ٢٠٠ _ ٢٠٥ عالم الفكر عـ١. ١٩٨

وكذلك فاطمة بنت سهل. ولما جمع عمر بن الخطاب الناس على إمام في صلاة التراويح سنة١٤ هـ " جعل للناس قارئين: قارئاً يصلي بالرجال، وقارئاً يصلي بالنساء "[1]. ولما وسع مسجد الرسول ص " جعل الأبواب ستة منها في كل جهة، ما عدا القبلة بابان، وقال في باب منها: ينبغي أن يترك هذا للنساء "[2].

إن خروج المرأة من منزلها مقرون برضى زوجها أو ذويها، حتى ولو كان ذهابها هذا إلى المسجد من أجل العبادة فلا تضحية بالأسرة ولا العبادة على حساب صحتها، ويحكى أن عمر بن الخطاب تزوج ابنة عمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل " وكان لها محباً وبها معجباً، وكان لا يمانعها من الخروج إلى الصلاة، ويكره خروجها، فجلس لها ذات ليلة في الطريق في ظلمة، فلما مرت ضرب بيده على عجزها، فرجعت إلى منزلها ولم تخرج بعد ذلك "[3].

---

[1] - ص ٥٧٠ ج٢ تاريخ الأمم والملوك

[2] - ص ١٣٥ ج١ رحلة ابن بطوطة

[3] - ص ٣٥٣ ج٦ البداية والنهاية

ـــ **المسجد والصلاة على الموتى:** ومما أُلحق بالمسجد فيما بعد الصلاة على الموتى: إن مسلمة بن مخلد الأنصاري المتوفي سنة ٦٢ هـ، عامل معاوية على مصر " هو أول من صلى على الموتى داخل الجامع "[١]. و" قال القضاعي: وأول من صلي عليه من الموتى داخل الجامع، أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرط ـ ولم يُعلم أحد قبله صُلي عليه في الجامع "[٢].

ـ **المسجد مرصد فلكي:** مسجد الرصد في مصر " هذا المسجد بناه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش الفاطمي بدر الجمالي، لأجل رصد الكواكب بالآلة التي يقال لها ذات الحلق "[٣].

ـــ **التسول وأقذار المجاورين في المسجد:** أبو جعفر بن جرير الطبري " استدعاه الخليفة " المقتدر سنة ٣١٠هـ " وقرَّب منزلته عنده، وقال له: سل حاجتك، فقال: لا حاجة لي. فقال: لا بد أن تسألني حاجة أو شيئاً. فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدَّم أمره إلى الشرطة حتى

---

[١] ـ ص ٣٨٣ ج٣ صبح الأعشى

[٢] ـ ص ٨ ج٤ الخطط المقريزية

[٣] ـ ص ٣٣٢ ج٤ الخطط المقريزية

يمنعوا السؤال يوم الجمعة "[1]. وقيل أن المتسولين قد أقاموا لهم نقابات خاصة بهم " ذات رتبويات وتنظيم، وكانوا يتجمعون غالباً حول المسجد، يستعطون بترتيل آيات من القرآن "[2].

أما المجاورين فلهم شأن آخر: سنة ٦٦٥هـ " فيها أمر الظاهر بيبرس أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق فيه، وأمر بإخراج الخزائن منه والمقاصير التي كانت فيه، فكانت قريبة من ثلاثمائة، ووجدوا فيها قوارير البول والفرش والسجاجيد الكثيرة، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين "[3] ولما بنى أحمد بن طولون جامعه في مصر " عمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية، وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة "[4] ولظروف أمنية بعد أن احترق جامع عمرو بن العاص زمان السلطان خمارويه وبعد أن أعاد بناءه " أمر عيسى النوشري سنة٢٩٤هـ في ولايته على مصر بإغلاق المسجد الجامع فيما

---

[1] - ص ١٤٦ ج١١ البداية والنهاية

[2] - ص ١٧١ أهل الإسلام

[3] - ص ٢٤٩ ج١٣ البداية والنهاية

[4] - ص ٤٠ ج٤ الخطط المقريزية

بين الصلوات، فكان يفتح للصلاة فقط، وأقام على ذلك أياماً، فضجَّ أهل المسجد ففُتح لهم "[1].

ـ المسجد والدكاكين: الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله، بنى الجامع الأقمر بمصر سنة ٥١٩هـ " وبنى تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح "[2] وجامع الظافر " عَمَّره الخليفة الفاطمي الظافر بنصر الله سنة ٥٤٣هـ ـ. ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه "[3].

ـ المسجد والخطَّابات: " ونظر خالد بن صفوان إلى جامعه في المسجد بالبصرة، فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: امرأة تدلُّ على النساء"[4]. أي هي خطَّابة.

ـ المسجد لإعلان الاكتشاف الطبي: " ذكر مسلمة بن محارب، وعلي بن محمد عن رجاله أن زياداً كتب دواء الكلَب، وعلَّقه على باب المسجد الأعظم ليعرفه جميع الناس"[1].

---

[1] ـ ص ١٢ ج٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٧٩ ج٤ نفسه

[3] ـ ص ٨٤ ج٤ نفسه

[4] ـ ص ٨٦ ج٥ العقد الفريد

ـ المسجد مقر رئيس الحسبة: رئيس الحسبة " له الجلوس بجامعي القاهرة ومصر، يوماً بعد يوم، ويطوف نوابه على أرباب الحرف "[2]. وربما قصد بهذا الإجراء لجم الخطباء عن المعارضة إلا أصولاً عن طريق الحسبة الذين وظَّفهم السلطان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ـ القصاصون والوعاظ والمسجد: " أول من قص في مسجد رسول الله ص تميم الداري، بعد أن استأذن عمر بن الخطاب، ثم أذن له عثمان بن عفان " ويقال: إن أول من قَّص بمصر سليمان بن عتر التجيبي سنة ثمان وثلاثين هجرية "[3] أما تميم الداري، فكان قبل الإسلام من النصارى، واشتهر بالقص في الصدر الأول أيضاً، اليهوديان الأصل: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، حتى كان عنهما ما كان من الإسرائيليات التي استخدمت في التفسير، حتى أضحى الدين لمن اعتمدها أسطورة من الأساطير.

---

[1] ـ ص ٣٢٨ ج٢ كتاب اليوان

[2] ـ ص ٣٨٨ ج٢ الخطط المقريزية

[3] ـ ص ١٨ ج٤ نفسه

أما معاوية فقد استخدم القصاص بالأجر في صراعه مع الإمام علي كوسيلة لإكتساب الشرعية في ذلك الصراع، وحطاً من شأن خصمه أما علي بن أبي طالب فقد طرد القصاص من المسجد الجامع بالبصرة، ولما استمع إلى الحسن البصري سمح له بالبقاء " وأمير مصر زمان عبد الملك بن مروان، رزق القاضي عبد الرحمن بن حجيرة، حيث كان يقص ألف دينار في الشهر " والمأمون " رزق أبا رجب العلاء بن عاصم الخولاني عندما ولاه القصص في مصر سنة ١٨٢هـ عشرة دنانير شهرياً "[١]

وكان القصاص في أول الأمر، يتحدثون إلى الناس وهم وقوف، ثم استخدموا الكرسي في العصر الأموي، ثم تجرأوا على إرتقاء المنبر، الذي خَّصه الرسول لصلاة الجمعة، حتى فرشوه بالسجاجيد والبسط للأبهة كما استخدموا فرق القراء " قد يصل عددهم إلى العشرين، يتبادلون فيما بينهم القراءة بصوت جميل، لإضفاء جو من المتعة الدينية على المسجد "[٢]. " ومن المنكرات كما يقول ابن الجوزي " إن المقرئ

---

[١] - ص ٤٣٢ مجلة عالم الفكر عـ٤ ١٩٨٢. الكويت

[٢] - ص ٤٢٨ نفسه

يطـرب ويخـرج الألحـان إلـى الغنـاء، والـواعظ ينشـد بتطريـب أشـعار المجنون وليلى، فيصفق هذا، ويخرق ثوبه ذاك، يعتقدون أن ذلك قربـة"[1] وحيث أصبح القاص بما يأخذه من السلاطين وبما يجمعه من الحاضرين لمجلسه، من الأثرياء، أو من وسائل الثراء، فقد كثر سعيهم للحديث بما هـو مثيـر، حتـى اتخـذوا مـن التخـاريف والإسـرائيليات والأسـاطير التفسيرية، أغلب موضوعاتهم، فضبح العلماء من أسلوبهم " حتى قال بعضهم: نِعم الرجل فلان لولا أنه يقص " وفي سنة ٢٨٩هـ أمر الخليفة العباسـي: " ألا يقعد على الطريق ولا فـي المسجد الجامع، قاص ولا منجم " ومن مشاهير القصاص موسى بن سيار الأسواري بالبصرة، والفقيه الشافعي سور الدين محمد بن عبد اللطيف الخوميذي، بأصبهان، والمعتزلي عيسى بن صبيح الملقب بالمرداد، وابن سمنون البغدادي، أبو القاسم القشيري الصوفي، ومن مشعوذي القصاص: الذين كانوا يجمعون الأموال بالكوز " ابن المغازلي " زمان المعتضد بالله، وسعد بن مهلهل الخزرجـي زمـان الصـاحب ابـن عبـاد، وفـي المغـرب اشـتهر محمد الكرسوطي. وابن عمار الذي أصبح ثرياً بالقص، ومن أثريائهم أيضاً

---

[1] ـ ص ٤١٩ نفسه

أبو عبد الله محمد الشيرازي ومن مشاهير الوعاظ زمان ابن جبير صدر الدين الأصبهاني الشافعي، ورضي الدين القزويني الشافعي أيضاً، والشيخ الفقيه جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي، وإن انفعل المستمعون بما سمعوه أتوا الواعظ ليجز نواصيهم " فيلقون نواصيهم بين يديه "[1] " فكم ناصية جز"[2] " كلٌ يلقي إليه ناصيته ليجزها"[3]. وذكر الدميري: أن العرب كانت " تجز نواصي الأسرى من الفرسان، إذا رامت أن تخلي سبيلها، وتمن عليها "[4].

ملاحظة: القصاص بما استخدموه من كذب وجهل وأساطير وبما افتعلوه من أبهة، وبما استخدموه من انحدار التراتيل إلى الإنشاد، ومن الاستعانة بالغناء عن طريق القراء ومن جمعهم للمال والكدية والأعطيات، كل ذلك يذكِّرنا بما كانت عليه المعابد وكهنتها قبل الإسلام، ولكنها طفرة كانت وانقضت، وما زال المسجد صامداً دون انحرافه.

---

[1] - ص ١٤٧ رحلة ابن جبير

[2] - ص ١٥٨ نفسه

[3] - ص ١٦٠ نفسه

[4] - ص ٣٠٢ ج٢ كتاب الحيوان

ـ **التجاور بين المسجد والكنيسة:** الجامع الأموي كان كنيسة، وبحكم الفتح أصبح نصفها مسجداً والنصف الآخر كنيسة و" كان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد، وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلةـ فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم، وينصرف المسلمون يمنة إلى مسجدهم، ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا ـ من سنة أربع عشرة إلى سنة ست وثمانين"[1] .أي حتى زمان الوليد بن عبد الملك الذي جعل الجميع مسجداً واحداً.

فالمسجد الأموي كان كنيسة والكنيسة كانت معبداً وثنياً، والذي حوله إلى كنيسة هو ثبودوسيوس ٣٧٩ ـ ٣٩٥م " إن ثيودوسيوس حوَّل المعبد في دمشق إلى كنيسة مسيحية، وحوْليات باشال حوالي ٦٤٠م تسجل هي الأخرى خبراً مشابهاً "[2].

ـ **أنواع المساجد:** للمساجد أنواع عدة: المسجد الجامع: وهو الذي تقام فيه الجمعة في المدينة الإسلامية.

---

[1] ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ج٩ البداية والنهاية

[2] ـ ص ٧٥ الآثار الإسلامية الأول

مساجد القصور: و" حيث بني الخلفاء قصوراً بنوا فيها المساجد"[1].

مساجد القبائل أو الأحياء: تقام فيها الصلوات دون الجمعة.

مساجد الطرق: يقول ابن بطوطة: " ثم سافرنا إلى مدينة بدفتن ـ بخارجها مسجد بمقربة من البحر يأوي إليه غرباء المسلمين، لأنه لا مسلم بهذه المدينة "[2].

المساجد المؤقتة: وهي ما يعرف بالمصليات، " وهو مكان فسيح خارج البلد، كانوا يصلون فيه الأعياد، ويقومون فيه بصلاة الإستسقاء "[3]. كما هناك أيضاً " مصليات الجنائز "[4].

المساجد المحمولة أو مساجد الترحال: لما زار ابن بطوطة مدينة الماجرا أو " بولوماجاري الآن على نهر كورما، قال: " فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها، فيها المساجد والأسواق ـ فإذا بلغوا المنزل الذي

---

[1] ـ ص ١١٧ نفسه

[2] ـ ص ٦٤٣ ج٢ رحلة ابن بطوطة

[3] ـ ص ٩٣ المساجد

[4] ـ ص ٩٤ نفسه

طلبوه، أنزلوا البيوت من العربات وجعلوها على الأرض، وهي خفيفة المحمل، وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت "[1].

وقد أصبحت المساجد في المدينة الإسلامية على كثرة لم نجدها في أي ديانة على الأرض، فالإسكندرية مثلاً زمان صلاح الدين الأيوبي أكثر بلاد الله مساجد ـ فالمُكثر ينتهي تقديره إلى اثنى عشر ألف مسجد، والمُقلل ما دون ذلك لا ينضبط: فمنهم من يقول ثمانية ألاف، ومنهم من يقول غير ذلك، وبالجملة فهي كثيرة جداً، تكون منها الأربعة والخمسة في موضع "[2].

نفقات المساجد: إن نفقات المسجد بسدنته كانت تؤخذ مما أُوقف للمسجد من بستان أو دكاكين أو عقار وإلى ما هنالك، فالذي يبنيه، من سلطان أو من ذوي الاحسان كان يوقف له شيئاً لتأمين نفقاته على الدوام، وربما خصص السلطان أموالاً عينية توزع على السدنة كل شهر. وزمان ابن جبير: " إن لجامع عمرو بن العاص بمصر الفائدة، نحو الثلاثين ديناراً مصرية في كل يوم، تتفرق في مصالحة ومرتبات

---

[1] ـ ص ٣٦٦ ج١ رحلة ابن بطوطة

[2] ـ ص ٤٧ رحلة ابن جبير

قوَّمته وسدنته وأيمتـه والقَّراء فيـه "[1]. والجـامع الأمـوي كمـا يقـول: " لـه مـال عظـيم مـن خراجـات ومسـتغلات تنيـف علـى الثمانيـة آلاف دينـار صورية في السنة "[2].وقُرأَّء القرآن فيه بـالأجر كُثر " وللمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجري لهـا، وهـو نحـو ستمائة إنسـان، ويـدور عليهم كاتب الغيبة، فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته"[3].

ولكنه لم يخبرنـا إن كانت قراءتهم للقرآن سـراً أو جهـراً، فـإن كانـت على الجهر، فهو الذي نهـى عنـه الرسول حيث قـال: " لا يجهـر بعضـكم علـى بعـض فـي القـرآن " لأن فيـه التشـويش عـن المعنـى المقصـود مـن تلاوتـه والمؤسف أن أصـبح القـراء كفـرق المنشـدين فـي المعابـد، أمـا إن كانوا يقرؤون القرآن تعبداً بالسر طالمـا هم علـى جمـع غفيـر، لتـذكُّر مـا يريده ربهم وتقويم أنفسهم، عندها لا تعبُّد إلا للأجر. ومـن منطـق المنفعـة لسدنة المسجد أصبح الصـراع عنيفـاً للحفـاظ علـى تلـك المكاسـب استعانة بالسلطان أو استعانة بالفقـه، وأصـبح " انتقـال الإمامـة ومـا يماثلهـا مـن

---

[1] - ص ٥١ نفسه

[2] - ص ١٨٧ نفسه

[3] - ص ١٠٦ ج١ نفسه

الوظـائف مـن الآبـاء والأجـداد للأبنـاء والأحفـاد مـن المسـائل الشـرعية المدونـة فـي الكتـب الفقهيـة، فلـو مـات إمـام الجـامع ولـه طفل صـغير فـإن القاضي يعين لـه وكيلاً يتقاضـى نصـف الراتـب أو ثلثيـه والبـاقي يُصـرف للطفل إلى أن يبلـغ سـن الرشـد، فـإن تمكـن مـن معرفـة أجوبـة بسيطة فـي الطهارة وفروض الصلاة أمام القاضـي أو اللجنـة المخصوصـة، فإنـه يحـل محل والده، وينال هذا الإرث الذي لا يحل نقلـه إلـى غيره "[1].

والملاحـظ أن فكـرة توريـث السـدنة مرتبطـة بالبيئـة السياسـية التـي كانت عليها الخلافة أو السلطنة، في وراثـة الملك عن طريق ولـي العهد حتى لو كـان صـبياً صـغيراً، وعلـى مـا يبـدو أن ساسـة السـلطان، حتـى لا يكون المسجد عقبـة فـي قضـية توريـث الملـك جعلـوا السـدانة وراثـة وهـل عندها من مُعارض؟ لا أظن ذلك، وإنه لمكر لا ريب فيه بالمسجد وأهله.

نزول عيسى بالجـامع الأمـوي:" قـال أويس الثقفـي: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: ينزل عيسى ابن مريم عند قيام السـاعة، ويكـون نزولـه علـى المنـارة البيضـاء التـي بشـرق جـامع دمشـق "[2] وابـن كثيـر يقـول: " إن

[1] ـ ص ٤٥ سر انحلال الأمة العربية

[2] ـ ص ١٦٠ بدائع الزهور

عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ـ هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى"[1].

و إمعاناً في تصديق الرواية جمع أبو القاسم القشيري أحد زعماء التصوف، كتبه التي ألَّفها في صندوق، وأمر أحد مريديه أن يلقيها بنهر جيحون، ولما ألقاه فيه امتدت يد من النهر وأخذته، ولما سأل المريد شيخه عن سر المسألة قال: إن عيسى لمَّا ينزل، سيحتاج إلى الحكم بالشريعة، حيث لا كتاب فقه ولا قرآن عندها، فهذه الكتب ستكون عوناً له، وهي محفوظة عند أمين الله بجيحون لهذا الغرض "[2] وصبر جميل والله المستعان!

المساجد والمدارس: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وهو نوع من أنواع العبادة، والتدريس في المساجد ظاهرة مألوفة ومذ وُجد المسجد، ومحمد ص هو المعلم الأول في مسجده، واستمرت هذه السنة، وأصبح بكل مسجد حلقات ومجالس كثيرة للتدريس، وقد كان على سبيل المثال " بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل سنة ٧٤٩هـ

[1] ـ ص ١٥٥ ج٩ البداية والنهاية

[2] ـ ص ١٦٠ ـ ١٦١ نفسه

بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم، لا تكاد تبرح منه "[1]، والمقدسي يقول عن هذا الجامع في زمنه " وعددت فيه، مائة وعشرة مجالس "[2] وعدد الدروس اليومية في جامع الزيتونة " لا تقل عن المائة والعشرين درساً في مختلف العلوم "[3] فقد " كان عبد اللطيف البغدادي يدرِّس الطب في نهاية القرن السادس الهجري "[4] ومعبد الشريف مثلاً كان يدرس الفلسفة والمنطق في المسجد. ومشاهير العلماء كلهم درَّسوا في المساجد: " ابن خلدون درس في الأزهر منذ وصوله إلى القاهرة سنة ٧٨٤هـ "[5] " وابن الهيثم صاحب البصريات اختار أن يعيش في الأزهر "[6] ، والنساء أيضاً كن يدرسن في المسجد، فقد كان " عبد الملك بن مروان يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق "[7]. وأعداد التلاميذ أصبحت هائلة، والعالم رضي الدين النيسابوري " كانت حلقته في مسجد البخاري تضم

---

[1] - ص ٢٢ ج٤ الخطط المقريزية

[2] - ص ٢٠٨ عـ١ عالم الفكر. ١٩٨٠ الكويت

[3] - ص ٢١٠ نفسه

[4] - ص ٧٧ الأزهر

[5] - ص ٩٢ نفسه

[6] - ص ٨٩ نفسه

[7] - ص ٦٦ ج٩ البداية والنهاية

أربعمائة من الطلاب "، والفقيه أبو الطيب الصعلوكي تواجد في حلقته " أكثر من خمسمائة طالب " والاسفراييني في بغداد كانت حلقته تضم " ما بين الثلاثمائة والسبعمائة ".

و الخليفة الفاطمي العزيز نزار ٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ، جعل الأزهر " معهداً علمياً وأنشأ به ملجأ للفقراء، يسع ٣٥ شخصاً "[١] وفي حال سكن التلاميذ جوار المسجد كانوا يسمعون المجاورين " والذين يقيمون داخل المسجد ينقسمون طوائف لكل منها حارة خاصة ورواق خاص "[٢] كرواق الترك والشوام والكرد أو حسب مذاهبهم كرواق الحنفية والشافعية وإلى ما هنالك.

ولكن على المدرس إن كانت دروسه في المساجد العامة " التي للسلطان الولاية عليها والنظر في أئمتها فلا بد من استئذانه في ذلك، وإن كانت من مساجد العامة، فلا يتوقف ذلك على إذنه "[٣] وبازدياد: عدد الطلاب، وبالتشويش الصادر عن الصبيان، وبتطورٍ العلم نحو الكلام

---

[١] ـ ص ١٢ الأزهر

[٢] ـ ص ٢٢ نفسه

[٣] ـ ص ٢٢٠ مقدمة ابن خلدون

وما فيه من جدل، وسعياً من المدرسين ليتكسَّبوا الرزق من التدريس حيث لا عمل لهم، كان الإفتاء في فصل المدارس عن المساجد "[1] وفي سنة ٤٨٣هـ " استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، فأفتوا بمنعهم، ولم يُستثنى منهم سوى رجل كان فقيهاً شافعياً يدرِّس كيف تصان المساجد "[2] أما عن المكتبات في المساجد فحدث ولا حرج، وليس من أمة ربطت بين الكتاب والمعبد كالذي فعله المسلمون، ويكفينا الأزهر كمثل ودلالة، فحسب فهرس سنة ١٢٦٨هـ " قدِّر عدد الكتب التي في الأزهر بنحو ثمانية آلاف مصنف تتضمن ١٩ ألف مجلد "[3]. ويقول توبي هاف: " ففي كل مسجد مكتبة، وأي مدينة متوسطة ـ بها عشرات من المساجد "[4]" وكان هناك تقليد قديم، وهو أن يلحق بكل مسجد مكتبة، وقد وجدت مؤلفات الطبيعة سبيلها إلى هذه المكتبات، والقراء أحرار في قراءتها حسب إرادتهم"[5].

---

[1] ـ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ المجتمع الإسلامي الأول: الدولة الأنموذج

[2] ـ ص ١٣٦ ج١٢ البداية والنهاية

[3] ـ ص ٦٠ الأزهر

[4] ـ ص ١٦٠ ج٢ فجر العلم الحديث عـ٢٢٠ عالم المعرفة

[5] ـ ص ١٥٨ نفسه

ـ **الذهب وزينة المساجد:** ليس من زينة في عهد النبي للمساجد، وتميم الداري المتوفي سنة ٤٠هـ " أول من أسرج المسجد"[١]. ولما " مرَّ علي بن أبي طالب على المساجد في رمضان، وفيها القناديل، قال: نوَّر الله على عمر في قبره كما نوَّر علينا في مساجدنا "[٢]. ولما كثر المسلمون في مدنهم، ولما أراد حكامهم مضاهاة الكنائس الضخمة، ورغبة منهم في ضم الشعب تحت سلطانهم خشية من مساجد الأحياء والقبائل، كانت ضخامة المساجد فمثلاً " زياد ابن أبيه أدرك جيداً أهمية المساجد السياسية ـ وفي نفس الوقت شعر بأن مساجد القبائل خطر عليه، مما أدى به إلى تزيين وتوسيع المسجد الكبير، بحيث يجذب الجميع إليه "[٣].

وبحجة توفر الذهب الكثير، وبحجة الخشية على المسلمين من الانبهار بعظمة الكنائس وزينتها، كانت ضخامة المساجد وتزيينها، و" عن عمرو بن مهاجر الأنصاري: أنهم حسبوا ما أنفقه الوليد على الكرمة

---

[١] ـ ص ٢٧٧ ج١ حياة الحيوان الكبرى

[٢] ـ ص ١٠٠ المذهب من تاريخ الخلفاء

[٣] ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ الآثار الإسلامية الأولى

" الفسيفساء " التي قبلي المسجد، فإذا هو سبعون ألف دينار، وقال أبو قصي: أنفق في مسجد دمشق أربعمائة صندوق من الذهب، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار "[1]. ولما اعترض عليه الفقهاء، عرض عليهم ما لديه من الأموال فإذا أكوام عظيمة تكفي الدولة لثلاث سنوات!!

مسجد سامراء الكبير، بناه الخليفة المتوكل العباسي: " بطول ٢٤٠ وعرض ١٥٦ متراً من الداخل ـ مساحته ٣٨٠٠٠٠متر مربع ـ إنه أكبر مسجد في العالم ـ الجدران يبلغ سمكها ٢.٦٥م وفيه ٤٤ برجاً "[2]. أو مئذنة.

وبدأ الذهب يغزو المساجد، ولقُبَّة الصخرة قصة فـ " المقدسي يقول: إن قبة الصخرة بناها عبد الملك بن مروان كمنافس لكنيسة القيامة. والتشابه يبيِّن لنا هذا القصد: إن قطر القبة في الأولى حوالي ٢٠.٤٤ متراً، مقابل ٢٠.٤٤ ـ ٢٠.٤٨ متراً في الثانية ـ قبر المسيح حسب رواية يوسفيوس يتألف من كتلة من الصخر الغشيم داخل كهف

---

[1] ـ ص ١٤٨ ج٩ البداية والنهاية

[2] ـ ص ٣٦١ الآثار الإسلامية الأولى

مرتفع قليلاً في وسط الأرضية المرصوفة تحت القبة ـ وهذه الكلمات يمكن أن تصف تماماً قبة الصخرة، قبل إحاطتها بحاجز في نهاية القرن الثاني عشر.

الآثار على الصخرة التي يقال إنها آثار أقدام محمد ﷺ عندما عرج إلى السماء ـ تعيد إلى الذاكرة الآثار على الصخرة في وسط قبة الصعود على جبل الزيتون ـ بأنها آثار أقدام المسيح ساعة الصعود "[1].

هذا التشابه يبرِّر منطق المضاهاة، ويكذِّب اليعقوبي بروايته التي زعم فيها أن عبد الملك بن مروان بنى قبة الصخرة، ليصرف الحج إليها عوضاً عن الكعبة التي أصبحت بيد عدوه وخصمه ابن الزبير.

فالوليد " بنى المسجد الكبير في دمشق لمنع المسلمين من الشغف بالكنائس ـ وعبد الملك بن مروان، خشي من كنيسة القيامة أن تبهر عقول المسلمين لذلك شيد فوق الصخرة قبتها العظيمة "[2] التي زخرفها بالخط الكوفي، وصور أشجار، وصور " الأطفال الملائكية المجنحة"[3].

---

[1] ـ ص ٥٧ نفسه

[2] ـ ص ٣٤ نفسه

[3] ـ ص ٥١ نفسه

ومسجد بيت المقدس فيه " عشرة آلاف صفيحة ومائتان وعشر صفائح، كلها نحاس مطلية بالذهب "[1] وفيه ٤٦٤ قنديل بمعاليق نحاس " وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة صفائح مذهبة "[2].

ومنبر مسجد عمرو بن العاص الذي وضعه فيه قرة بن شريك " قُلع وكسر في أيام العزيز بالله الفاطمي، بنظر الوزير يعقوب بن كلس سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وجُعل مكانه منبر مذهب "[3] وبعد أن كانت زينة المساجد وضخامتها لمضاهاة الكنائس والمعابد، أصبحت لخدمة الصراع المذهبي بين المسلمين.

تزيين المساجد بالذهب والرسوم ليس من طبيعة الإسلام، ورغم ما كان من اجتهادات للتبرير فهي من سنة المعابد التي جاء المسجد لتجاوزها وإصلاحها، وقد " روى قتيبة - عن أبي هريرة، قال: إذا زوَّقتم مساجدكم وحلَّيتم مصاحفكم فالدمار عليكم "[4].

---

[1] - ص ٢١٥ ج٥ العقد الفريد

[2] - ص ٢١٥ نفسه

[3] - ص ١١٠ الخطط المقريزية

[4] - ص ١١٢ ج٧ البداية والنهاية

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، " طبخ سلاسل القناديل، في الجامع الأموي، حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق، وذهب إلى أن ذلك الصنيع مجانب لسنة الإسلام، وإن ذلك الحُسن الرائع والمحاسن الدقاق مذهلة للقلوب ومشغلة دون الخشوع "[1]. " فقد كان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل، وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فجعلها في بيت المال، واتخذ عوضها صفراً وحديداً"[2]. وصلاح الدين الأيوبي كعمل في الاصلاح لعودة المساجد إلى ما كانت عليه، " قلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر "[3] وذلك في سنة٥٦٩هـ "[4].

و " باب البيت - العتيق - في وجهه الشرقي - ملَّبس بالذهب وباطنهما بالفضة - ولها عروتان يضرب فيهما قفل من ذهب، وحواجبه كلها مذهبة، ما عدا الجانب الأيمن "[5].

[1] - ص ٤٤ ج١ كتاب الحيوان

[2] - ص ٩٥ ج١ حياة الحيوان الكبرى

[3] - ص ١٤ ج٤ الخطط المقريزية

[4] - ص ٥٤ ج١ نفسه

[5] - ص ٢٠٩ ج٥ العقد الفريد

والمسجد النبوي بالمدينة " سائر عمد المسجد رخام، والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها نجف منقشة مذهبة، ثم السموات على النجف، وهي أيضاً منقشة مذهبة. وقبالة المحراب موسطة البلاطات بلاط مذهب كله ـ وفي البلاط الذي يلي المحراب تذهيب كثير، وفي موسطه كالترس المقدر مجوف كالمحار، مذهب ـ وخمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين، غلظه قدر الأصبع ـ ثم فوقه أزار رخام ـ فيه ترس من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب، ثم فوقه إزار رخام فيه ضيفة منقشة عرضها مثل عرض الذراع، لها قضبان وأوراق من ذهب ـ والمحراب ـ على قوسه قصَّة من ذهب ناتئة غليظة ـ وفيه دارات بعضها مذهبة ـ وتحت القبو ضيفة ذهب منقشة، تحتها صفائح ذهب مثمنة "[1] وحيطانه كلها " من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها، وله ثمانية عشر باباً عتبها مذهبة"[2].

---

[1] ـ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ نفسه

[2] ـ ص ٢١٤ نفسه

ولكن للذهب إغراء أيما إغراء، ولا مقدَّس إن احتيج إليه، ولكم لحقت الإهانة بالمساجد طمعاً بذهبها، ففي سنة ٤٦٢هـ " ضاقت النفقة على أمير مكة، فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي "[١].

ومحمد بن إبراهيم " لما تغلَّب على مكة قلع ذهبه ـ أي البيت العتيق ـ فتُرك على حاله "[٢] ناهيك عما فعله القرامطة بكل ما للمساجد من ذهب، حتى قلعوا الحجر الأسود وأسروه طمعاً بفدية الذهب التي كانت لهم فيما بعد.

ــ **المساجد وزوايا أهل التصوف:** مسجد ضرار كان مثالاً للمسلمين كي يتوخوا الحذر ممن يزاحمون المسجد سعياً لانحرافه، لقد دمر البنى ذلك المسجد الذي كان عن اقتراح قوى خارجية للقضاء على الإسلام من الداخل، ولكن أبا عامر الراهب أو الفاسق بقي حياً في نفوس الحاقدين، وزوايا الصوفية تسمى " الخوانك " " وهي كلمة فارسية

---

[١] ـ ص ٩٩ ج١٢ البداية والنهاية

[٢] ـ ص ٢٠٩ ج٥ العقد الفريد

معناها بيت ـ والخوانك حديث في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة ـ وجُعلت لتَخَلِّي الصوفية فيها لعبادة الله "[1] على طريقتهم الخاصة.

محاولات كثيرة من أهل التصوف لانتزاع المساجد وتحويلها إلى زوايا، ففي سنة ٧٦٣هـ: جامع تقام فيه الصلوات، أراد بعض أهل التصوف " أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعاً ونصب فيه منبر ـ فتكلم بعضهم ـ بعض أهل التصوف ـ بكلام سيء ـ فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه، ونودي عليهم في البلاد"[2].

لا عمل للصوفي إلا الطعام والشراب: بحجة التفرُّغ لعبادة الله فهو بحق يمثل الكاهن القديم وقد حاول إيجاد مكان له في الإسلام ولما زار ابن جبير دمشق، قال: " وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها ـ وهم يرجون عيشاً طيباً هنيئاً

---

[1] ـ ص ٢٨٠ ج٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٢٩٤ ج١٤ البداية والنهاية

"[1] ويا ويل من يحاسبهم، فبعد أن طَّبق الأمير يلبغا السالمي بضغط من الفقهاء على الزوايا شروط الواقف على القائمين فيها " قطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب، ومن هو مشهور بالمال ـ حيث كان لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال خبز، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق، الحلوى، والصابون، وكسوة سنوية لكل واحد منهم "[2] "فامتعض العبادي، وغضب من ذلك، وشنَّع بأن السالمي قد كفر ـ فاقتضى الحال تعزيره "[3] وبعدها تم سجنه ثم نفيه.

الظاهر بيبرس سنة ٧٠٦هـ أنشأ زاوية " نحو فدان وثلث "[4] خصصت لأربعمائة صوفي، ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماة ومنية المخلص " وجعل بها مطبخاً يفرِّق على كل واحد منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر، وجعل لهم الحلوى "[5]، وبعد

[1] ـ ص ١٩٩ رحلة ابن جبير

[2] ـ ص ٢٨٣ ج٤ الخطط المقريزية

[3] ـ ص ٢٨٤ نفسه

[4] ـ ص ٢٨٥ نفسه

[5] ـ ص ٢٨٥ نفسه

أن تسلطن محمد بن قلاوون " صار لكل واحد منهم عشرة دراهم " [1] ـ. ومنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والأجناد ". وقد ذكر المقريزي أسماء الخوانق التي بنيت في مصر، والأهم ملاحظة أسماء الذين قاموا ببنائها:

ـ الخانقاه الجمالية: بناها الأمير الوزير مغلطاي الجمالي سنة ٧٨٠هـ

ـ الخانقاه الظاهرية: أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة ٧٨٦هـ

ـ الخانقاه الشرابيشية: أنشأها نور الدين الشرابيشي.

ـ الخانقاه المهندارية: أنشأها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش سنة ٧٢٥هـ

ـ خانقاه بشتاك: أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصري سنة ٧٣٦ وقد خصص لساكنيها الرواتب الشهرية المقطوعة.

ـ خانقاه ابن غراب: أنشأها الأمير إبراهيم بن غراب أستدار السلطان.

---

[1] ـ ص ٢٨٦ نفسه

ـ خانقاه البند قدارية: أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي سنة ٦٨٣هـ.

ـ خانقاه شيخو: أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦هـ.

ـ الخانقاه الجاولية: أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي سنة ٧٢٣هـ.

خانقاه الجيبغا المظفري، خانقاه سريا قوس، خانقاه أرسلان، خانقاه بكتمر، خانقاه قوص، خانقاه طفاي، خانقاه أم أنوك، خانقاه طيبرس، خانقاه أقبغا.

وبالإجمال لقد انتعش التصوف زمان الزنكيين والأيوبيين والمماليك بكافة أصنافهم، إلى حد اضطهاد الفقهاء والتنكيل بهم وسجنهم ولكن ما الذي أراده هؤلاء السلاطين غير العرب من نشر التصوف عند العرب، فهل هي التقوى والتقرب إلى الله، وهم الذين ذبحوا بعضهم بعضاً بالدسائس والمؤامرات والقتل والاغتيال من أجل المُلك!

فالصوفي الذي اختصر الدين بشخصه، والإله في جبَّته، والقدسية لقبره الذي جعل من نفسه أو أوليائه الوسيط الذي لا بد منه بين الإله

والبشر، هو نفسه كاهن المعابد وقد عاد من جديد، فأنشأ زواياه تفرقة للمسلمين ومضاهأة للمسجد، كيداً بالتوحيد وأهله ليزعم التوحيد الذي فيه الحلول والاتحاد ووحدة الوجود كأهم ميزة تميَّز بها الفكر الوثني، فتوحيد لا موجود إلا الله هو الأساس العقائدي للمعابد الذي كان عنه السحر والتنجيم، وتوحيد لا معبود إلا الله هو الأساس لتبرير تعدد الآلهة، فأيها عبدت فهو الله!

المساجد والغناء: ومن الأساليب الأخرى التي سعى إليها أهل التصوف لرد المسجد إلى طبيعة المعبد، استخدامهم الغناء والرقص والموسيقا أو السماع على حد تعبيرهم في العبادة، فالموسيقا كما رأينا في المعابد والمعبد اليهودي قد استخدمت من أجل التنبؤ أي لحصول الوجد حسب المصطلح الصوفي، فهي وسيلة من وسائل المعرفة الغنوصية أو اللدنية التي لا بد منها في الطريق، أمر بها الإسلام أو نهى عنها فلا فرق لديهم ولقد قال جلال الدين الرومي: " إن من يعرف قوة الرقص يحيا في الله "[١]، حيث لا فناء ولا وجد إلا به، واخوان الصفا يقولون فإذا سمعتْ النفس الألحان العذبة " تذكَّرت عالمها الروحاني

[١] - ص ٦٣ الدولة والأسطورة

الشريف العالمي، وتشوَّقت نحوه "[1]. " وهكذا كان غرض الحكماء من استعمالهم الألحان الموسيقية ونغم الأوتار في الهياكل وبيوت العبادات، عند القرابين من سنن النواميس الإلهية "[2]. وقد " زعمت الفلاسفة " أن النغم فضلٌ بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالألحان "[3]. أي إن ما أراده الكهنة من خشوع المتعبدين، لم يقولوه بألسنتهم إنما وضعوه بألحان من الموسيقا أوحتْ لمستمعيها ما أرادوه.

وقد سئل أبو بكر الطرطوشي " عن قوم يجتمعون في مكان ما أو زاوية يقرؤون شيئاً من القرآن، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر، فيرقصون ويطربون - حلال أم لا؟ فأجاب: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما الرقص والتواجد، فأول من أحدثه أصحاب السامري، ولما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو

[1] - ص ٢٣٤ ج١ رسائل إخوان الصفا

[2] - ص ٢٠٨ ج١ نفسه

[3] - ص ٤ ج٥ العقد الفريد

دين الكفار وعُبَّاد العجل، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه، كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار: فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم. وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين "[١].

إن من سمات أديان ما قبل الإسلام استخدامهم الرقص والموسيقى والغناء أو الأناشيد في العبادة، ولما جاء الإسلام نزَّه المساجد عن هذا كله، ولم يبق إلا نغمة الخشوع الناتجة عن ترتيل القرآن، ولكل إنسان صوته الحسن، وكل الأصوات حسنة بخشوع الترتيل، فالقيمة إذاً للإنسان، بل لكل إنسان على الإطلاق، لا للمغنين ولا للآلات ولا لبراعة الرقص المكتسبة، فالإنسان بطبيعته التي خلقه الله عليها هو القيمة، ولا دين غير الإسلام أعطاه لذاته هذه القيمة، وهنا مكمن السر في التمييز بين المساجد والمعابد.

ـ المآذن والآذان في المساجد:

[١] ـ ص ١٧ – ١٨ حياة الحيوان الكبرى

حسب رواية ابن اسحاق: " كان رسول الله ﷺ حين قدِم *المدينة*، إنما يجتمع الناس إليه للصلاة، لحين مواقيتها بغير دعوة "[١]. وبرواية أحمد عن سالم عن أبيه: " استشار الرسول ﷺ الناس لما يهمهم من الصلاة، فذكروا البوق فكرهه من أجل يهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى "[٢]، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، رؤيا رجل علَّمه صيغة الآذان، فاستحسن الرسول ذلك، فأمره بإلقائه على بلال، فلما أذَّن به بلال سمعه عمر بن الخطاب، وهو في منزله، فجاء للرسول قائلاً: " يا نبي الله والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله ﷺ: فلله الحمد على ذلك "[٣].

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن خزيمة، وصحَّحه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما.

---

[١] - ص ٢٣٢ ج٣ البداية والنهاية

[٢] - ص ٢٣٣ نفسه

[٣] - ص ٥٠٩ ج١ السيرة النبوية لابن هشام

فصيغة الأذان عن حلم واحد لرجلين، تشير إلى المعنى الاعجازي لصيغة الآذان، والتي يجب ألا تتغير أو تعدل بالزيادة أو النقصان لأي سبب كان.

" إن أول من أذَّن لرسول الله ﷺ، بلال بن رباح ـ بالمدينة وفي الأسفار "[1]. كما أذَّن له ابن أم مكتوم، وأبو محزورة، " وقد جاء أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ عند المنبر"[2].

ولم يكن للمؤذنين من أجر بل إن الرسول أمر بمؤذن بلا أجر: "عن عثمان بن أبي العاص، قال يا رسول الله اجعلني إمام قومي، قال أنت إمامهم فاقتد بأضعفهم، واتخذْ مؤذناً لا يأخذ على آذانه أجراً"[3]. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

" وذكر أبو داود في " مراسيله "، والدار قطني في " سننه "، قال بكير بن عبد الله الأشج: كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول

---

[1] ـ ص ٤٥ ج٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٤٦ نفسه

[3] ـ ص ٣١ ج٥ البداية والنهاية

الله ﷺ، كلهم يصلون بآذان بلال رضي الله عنه "[1].ونتمنى لو تعود هذه السنة، لنتخلص من كثير من النشاز الذي يرافق الآذان، وهو أمر مقدور عليه في زماننا، حتى لو كان الصوت بكل مسجد عن مصدر وحيد ناهيك عن التوفير في أجرة المؤذنين، حيث لا مؤذن الآن بلا أجر. وقد " ذُكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنه أول من رزق المؤذنين "[2] و" لم يعرف الإسلام المآذن أثناء حياة محمد ﷺ، ـ. ولما أمر بلال بالآذان، أذن من أعلى سطح في المنطقة "[3]، وقد كان السلف الصالح يكرهون التطريب في الآذان، فقد " روى أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس: والله أيها الأمير إني لأحبك في الله. فقال الضحاك: ولكنني والله أبغضك في الله. قال: ولم أصلحك الله؟ قال: لأنك تتراءى في أذانك "[4].

أول المآذن ليست من بناء إسلامي، فالأبراج" المربعة الأربعة على زوايا المعبد ـ قبل الجامع الأموي ـ استخدمت كمآذن وهي الأُولى في

[1] ـ ص ٤٦ ج٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٤٧ ج٤ الخطط المقريزية. ص ١٢٢ المذهب من تاريخ الخلفاء

[3] ـ ص ١٨ الآثار الإسلامية الأولى

[4] ـ ص ٢٤٤ ج٨ البداية والنهاية

الإسلام "[1]، وقد كان هذا زمان الخليفة معاوية بن أبي سفيان " ويقول ابن المسعودي: إن الوليد لم يغيِّر الصوامع عندما بنى المسجد الكبير، وهي تستخدم للآذان حتى اليوم"[2].

أما أول المآذن التي بناها المسلمون حسب المقريزي وابن دقماق، فهي أيضاً عن أمر معاوية، " يقول المقريزي: إن الخليفة معاوية أمر مسلمة بن مخلد أمير مصر ببناء الصوامع للآذان، فلما جدَّد مسجد عمرو بن العاص بنى فيه أربع صوامع على أركان المسجد الأربعة " سنة ٥٣هـ "، وكان بذلك أول من بناها في المسجد، وهي أول إشارة إلى المئذنة "[3] أما البلاذري المتوفي سنة ٢٤٥هـ، فيقول: " أن زياد بن أبيه، عامل معاوية على العراق، بنى لجامع البصرة منارة من الحجر في سنة ٤٥هـ، وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعاد بناءه بالحجر"[4].

وعلى كل حال: المهم في الأمر، أن المئذنة بُنيت في عهد الصحابة، ولا أحد منهم أنكر إلحاقها بالمساجد، بل عدُّوها من محاسن البدع.

---

[1] - ص ٨٥ الآثار الإسلامية الأولى

[2] - ص ٣٠ نفسه

[3] - ص ٢٩ الآثار الإسلامية الأولى. ص ٤٧ ج٤ الخطط المقريزية

[4] - ص ١٢٩ المساجد

وزمان الخليفة الوليد بن عبد الملك، وسَّع أمير المدينة عمر بن عبد العزيز مسجد الرسول ﷺ وجعل فيه " أربع صوامع في أربعة أركانه، وكانت إحداها مطلة على دار مروان، فلما حج سليمان بن عبد الملك نزل بها، فأطل عليه المؤذن حين الآذان، فأمر بهدمها "[1].

"وقد سُئل "سحنون" عن مؤذن ينظر من مئذنة جامع على عورات البيوت المجاورة: هل يحق لسكان هذه البيوت التي يفصلها عن الجامع شارع، أن يمنعوا المؤذن من صعود المئذنة؟ فكانت إجابته بمنع المؤذن من الصعود، ما دام صعوده يتسبب بالضرر ـ ـ ثم أصبح المؤذنون تحت مراقبة المحتسب، حيث يوجهه إلى عدم إمعان النظر في بيوت الناس، وهو على المئذنة، ويجعله ملتزماً بذلك بالقسم ـ وفي بعض المدن مثل الكوفة، تشدَّد المحتسب في ألا يسمح للمؤذن بصعود المئذنة إلا إذا كان كفيفاً، حتى لا يؤذي البيوت المجاورة "[2] وأخيراً انتشرت المآذن في كل المساجد، حتى أصبحت العلامة الأهم في الدلالة على مدن المسلمين وتواجدهم، وأصبح للمؤذنين غرف خاصة بالمسجد، " ففي سنة ٤٤٢هـ

---

[1] ـ ص ١٣٧ ج١ رحلة ابن بطوطة

[2] ـ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ المدينة الإسلامية

عمَّر القاضي ـ. غرفة المؤذنين بالسطح "[1]، وأصبحت بعض المآذن على ضخامة مهوّلِة بالفعل، ففي جامع دهلي بالهند مثلاً، صومعة " لا نظير لها في بلاد الإسلام، وهي مبنية بالحجارة الحمر ـ. سامية الارتفاع، وفحلها من الرخام الأبيض الناصع، وتفافيحها من الذهب الخالص، وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة " ويقول ابن بطوطة ": حدثني من أثق به: أنه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أعلاها.

وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن "[2] ومن مرافقة الصوامع بقاعدة المآذن، كانت ضخامة المآذن، ففي المسجد الجامع بأشبيلية مئذنة " ترتفع في الجو ٧٣متراً، وقاعدتها مربعة، طول كل ضلع من أضلاعها ١٣.٥ متراً، وتضم غرفاً جانبية، ويدور داخل الصومعة طريق إلى أعلاها، بـ ٣٥ دورة حتى تصل إلى شرفة الآذان، أو بيت المؤذن"[3].

---

[1] ـ ص ١٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٤٨٠ ج٢ رحلة ابن بطوطة

[3] ـ ص ٢٢٥ المساجد

أما حوادث المآذن، فهي مروعة، ففي جامع الملك الناصر حسن الذي بناه في مصر سنة ٧٥٧هـ مثلاً، سقطت المنارة التي على الباب سنة ٧٦٢هـ " فهلك تحتها نحو ثلاث مئة نفس "[1] " وقيل أكثر "[2]. وهذا بالطبع سيدفع المسلمين للاهتمام أكثر بعلم الهندسة.

ـ **الصراع المذهبي والآذان:** آفة الإسلام ممن طرفين يتجاذبانه الأول: من سعوا لإعادته لأديان ما قبل الإسلام وقد تمثل بالتصوف والغلاة الزاعمين للنبوة والأُلوهية لهم أو لزعمائهم، والشعوبيون بكافة أصنافهم وأشكالهم لا فرق في ذلك بين شعوبية قديمة وشعوبية حديثة. الثاني: الصراع الداخلي بين الفرق والمذاهب الإسلامية، حتى أصبح لكل مذهب أو فرقة دين خاص به كتشريع واعتقاد وإلى ما هنالك، والأدهى أنهم جميعاً كأنما اتفقوا على تغذية هذا الصراع ليغطي كافة ما يأتي من زمن، حتى أصبح الصراع من طبيعة الاعتقاد، فلا القرآن هو القرآن عند الجميع، ولا السنة هي السنة، وانتشر التأويل، ولا أكثر من وضع الأحاديث، وعادت الأمة إلى عهدها القبلي، بعد أن جمعها الدين

[1] ـ ص ١٢٢ ج٤ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٢٧٧ ج١٤ البداية والنهاية

لبرهة قصيرة من الزمن واستخدم الآذان هو الأخر كوسيلة لجعل التناحر الطائفي أو المذهبي مقدساً ومن طبيعة الاعتقاد منعاً لأي لقاء محتمل، واستمرت الأحقاد إلى الأحفاد ويا له من بلاء، وأعظم البلاء إن تحجر الإنسان على عقدة من الزمن قد مضت ؟ إنه المرض، وهل عندها من علاج أو من استماع لصوت العقل؟!

" كان الآذان أولاً بمصر كأذان أهل المدينة، وهو الله أكبر الله أكبر وباقيه، فلم يزل الأمر بمصر على ذلك - إلى أن قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله الخليفة الفاطمي، وبنى القاهرة - وأذن المؤذنون حي على خير العمل، وهو أول ما أُذِّن به بمصر "[١]. والزيديون أيضاً زادوا في الآذان " حي على خير العمل، إثر قول المؤذن " حي على الفلاح "[٢]

أما زيادة " محمد وعلي خير البشر " " فأول من قال في الآذان بالليل " محمد وعلي خير البشر " - علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان أول تأذينه بذلك في أيام

---

[١] - ص ٤٧ ج٤ الخطط المقريزية

[٢] - ص ٨٤ رحلة ابن جبير

سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، ولم يزل يُزاد في الآذان حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر إلى أيام نور الدين زنكي "[1] وفي القطيف " يقول مؤذنهم في أذانه بعد الشهادتين: أشهد أن علياً ولي الله. ويزيد بعد الحياتين: حي على خير العمل، ويزيد بعد التكبير الأخير: محمد وعلي خير البشر، ومن خالفهما فقد كفر "[2]. وحيث هذه الزيادات ذات دلالات سياسية، فقد تعرضت كثيراً للمنع والعقاب ففي سنة ٤٦٨هـ " أبطل الآذان بحي على خير العمل "[3]. في دمشق و" في سنة اثنين وستين وأربعمائة ـ ترك الآذان بحي على خير العمل "[4]. في مكة وفي سنة ٥٢٤هـ زمان الوزير الفاطمي أبو علي بن كتيفات " أزيل من الآذان حي على خير العمل، وقولهم محمد وعلي خير البشر "[5]. والقائمة لمن يبحث عنها طويلة طويلة.

---

[1] ـ ص ٤٨ ـ ٤٩ الخطط المقريزية

[2] ـ ص ٣٠٥ ج١ رحلة ابن بطوطة

[3] ـ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ المهذب من تاريخ الخلفاء

[4] ـ ص ٣٤٧ نفسه

[5] ـ ص ٤٨ ج٤ الخطط المقريزية

أما زيادات أهل السنة على الآذان فعلى شأن مختلف، فمما أحدثوا " التذكير في يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع الذكر على المآذن، ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة، وكان ذلك بعد السبعمائة من سني الهجرة "[١]. كما أحدثوا الصلاة والتسليم على النبي، " ففي ليلة الجمعة، إذا فرغ المؤذنون من التأذين سلَّموا على رسول الله ﷺ، وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله البرلسي بعد سنة ستين وسبعمائة "[٢] " وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الآذان "[٣] وفي سنة ٧٨٥هـ زمان السلطان برقوق " في هذه السنة في شعبان منها أحدث المؤذِّنون عقب الآذان: الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، وهذا أول ما أحدث، وكان الآمر به المحتسب نجم الدين الطنبذي "[٤]. أما زيادتهم للتسبيح في الليل على المآذن " فإنه لم يكن من فعل سلف الأمة "[٥] وقصة هذه الزيادة أن مسلمة ابن مخلد أمير مصر أزعجه ضرب

---

[١] - ص ٥١ ج٤ الخطط المقريزية

[٢] - ص ٤٩ نفسه

[٣] - ص ٥٠ نفسه

[٤] - ص ٤٢٤ المهذب من تاريخ الخلفاء

[٥] - ص ٥٠ ج٤ الخطط المقريزية

الناقوس، فشكا ذلك إلى عريف المؤذنين فاقترح تمديد الآذان بالتسبيح من نصف الليل إلى قرب الفجر، على أن يأمر مسلمة النصارى بعدم ضرب الناقوس عند الآذان، وهكذا كان، ثم جاء أحمد بن طولون وإبنه خماروية وأقرا هذه البدعة " ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن، وصار يُعرف ذلك بالتسبيح "[1].أما زيادة المنادين بالعودة إلى ما قبل الإسلام، فهي زيادة أهل التصوف بعد الآذان: " الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ويا خاتم رسل الله " وهم بهذه الزيادة ينادون علناً باعتقادهم في الحقيقة المحمدية، ومحمد حسب هذه العقيدة هو الموجود الأول بعد الله، أي أول خلق الله، ومن نوره كان الوجود، وقد قال ذو النون المصري: أصل الخلق نور محمد، وسهل التستري قال: من نور محمد خُلقت الأشياء، والحلاج قال: النور المحمدي أصل الأشياء، وابن عربي يقول: " لا يستحيل في العقل وجود قديم ليس بإله "، وبالفيض والقول يقدم الوجود أو أصله كان قولهم بوحدة الوجود التي لا تعترف بالخلق بعد عدم.

---

[1] - ص ٥١ نفسه

فالحقيقة المحمدية، أي قدم محمد وجعله أصل الوجود، هي نفسها عقيدة " العقل الأول " عند أفلوطين، و"العزيز " عند اليهود، و" الكلمة " عند النصارى و" الإنسان الأول " عند الفرس و" الإنسان القديم " عند المانوية وكل هؤلاء قالوا بنفي الخلق من العدم ولا خلق إلا عن طريق الفيض وباعتماد الفيض كان توحيد الوجود عند أهل التصوف: لا موجود إلا الله، وما تلك الزيادة التي ينعقون بها على المآذن إلا التكذيب الصريح للقرآن فيما قرره من الخلق بعد العدم، ودعوة صريحة إلى عقائد ما قبل الإسلام أما حديث جابر الذي يموهون به على العامة والجهلة فهو عند أهل الحديث ضعيف وموضوع، ولا مكان له في الاحتجاج على قدم محمد أو قدم نوره ولا أكثر من الأحاديث الموضوعة أو الموضوعة عن طريق الكشف التي سخَّرها أهل التصوف لهذا الغرض.

ومن مظاهر استخدام الآذان للعودة إلى ما قبل الإسلام، أنه في بعض مساجد أندونيسيا، لا وجود للمئذنة " ويؤذن للصلاة بقرع طبل ضخم يسمى " بدوغ "[1].

---

[1] ـ ص ٢٠٤ تراث الإسلام عـ٢٣٣ عالم المعرفة

والآذان علـى طريقـة الكـورس، هـي الأخـرى لجعلـه علـى طريقـة الأناشيد، فبتعدد المآذن للمسجد الواحد " زيد عدد المؤذنين، الذين كانوا يرفعون الآذان ملحناً بالأصوات المجتمعة في شكل " كورس " جوقة"[1].

ـ المساجد واختلاف مذاهب المصلين:

إن الاختلاف بين الزاعمين اتفاقهم في الأصول واختلافهم في الفروع مشين، ومشوِّه لدور المسجد، ومخرِّب لوحدة المسلمين، ومبلبل للعقول، فلا شرع واحد للدولة، ولا كل المصلين على إمام واحد، فتعددت الأئمة واختلفت الأمة، وقد شاع السؤال: ما مذهبك؟! أنىّ اتجهت في المجتمع المسلم، فقد دُعي الشيخ أحمد ابن محمد القادسي المتوفي سنة ٦٢٠هـ " مرة إلى دار المستضئ ليصلي بالخليفة التراويح، فقيل له والخليفة يسمع: ما مذهبك؟ فقال: حنبلي. فقيل له: لا تصلِّ بدار الخلافة وأنت حنبلي، فقال: أنا حنبلي ولا أصلي بكم! فقال الخليفة: أتركوه لا يصلي بنا إلا هو"[2].

---

[1] ـ ص ٦٣ ، ٧١ عالم الفكر عـ١ ١٩٨٠

[2] ـ ص ١٠٤ ج١٣ البداية والنهاية

فالخليفة إذاً ليس ممن تلزمه المذاهب، وهو حر أن يصلي على أي مذهب شاء، أما القطيع فلا بد له من إلزام المذهب في التشريع والعبادات بل وفي كل شيء مما يخص الدين، ولهذا الغرض كان اقتسام المساجد بين المصلين حسب مذاهبهم، تبعاً لدرجة انتشار المذهب وقربه من السلطان أو دوره السياسي المؤثِّر، فإن اجتمع الخليفة بزعماء المذاهب فلهم ترتيب خاص مَنْ على يمينه ومَنْ يليه، ومَنْ على شماله ومَنْ يليه، ومَنْ منهم له الجلوس على مكان أعلى ومَنْ منهم على مكان أخفض، وهكذا، وإقامة الصلوات في المسجد تكون على نفس المنوال " ومن عادة أهل مكة أن يصلي أول الأئمة إمام الشافعية، وصلاته خلف المقام الكريم، مقام إبراهيم عليه السلام ـ فإذا صلى الإمام الشافعي، صلى بعده إمام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني، ويصلي إمام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلاً ما بين الحجر الأسود والركن اليماني، ثم يصلي إمام الحنبلية قبالة الميزاب المكرم تحت حطيم له هناك ـ وأما صلاة المغرب فإنهم يصلونها في وقت واحد كل إمام يصلي بطائفته. وكم يدخل على الناس من ذلك سهو وتخليط، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي، وسجد الحنفي بسجود الحنبلي، وتراهم مصيغين كل واحد إلى

صوت المؤذن، الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو "[1] أما الزيدية فلا " يجتمعون مع الناس، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتهم"[2].

فأول الأئمة إذاً الشافعي، " لأنه المقدم من الإمام العباسي -. والمالكي أقلهم شمعاً وأضعفهم حالاً، لأن مذهبه في هذه البلاد غريب"[3].

وفي صلاة التراويح بالحرم، أيضاً " تفرقت الأئمة لإقامة التراويح فرقاً: فالشافعية فوق كل فرقة منها ـ وكاد لا يبقى في المسجد زاوية ولا ناحية، إلا وفيها قارئ يصلي بجماعته "[4]، وإمعاناً في بيان التفوق الشافعي كانوا كلما فرغوا من تسليمتين " ضربوا الفرقعة وعادوا لصلاة تسليمتين ـ وهي لا محالة ـ أي الفرقعة ـ من جملة البدع المحدثة في هذا المسجد العظيم "[5].

---

[1] ـ ص ١٧٩ ج١ رحلة ابن بطوطة

[2] ـ ص ٨٤ – ٨٥ رحلة ابن جبير

[3] ـ ص ٨٥ نفسه

[4] ـ ص ١١١ نفسه

[5] ـ ص ١١٢ نفسه

وفي الجامع الأموي بدمشق " إذا سلم إمام الشافعية من صلاته، أقام الصلاة إمام مشهد علي، ثم إمام مشهد الحسين، ثم إمام مشهد الكلاسة، ثم إمام المالكية ـ ثم إمام الحنفية ـ ثم إمام الحنابلة "[١]. وبهذا الجامع " بالجانب الغربي بإزاء الجدار مقصورة، هي برسم الحنفية، يجتمعون فيها للتدريس، وبها يصلون"[٢].

" وعن يمين الخارج في الدهليز خانقاه مبنية للصوفية، في وسطها صهريج ـ وعن يمين الخارج أيضاً من باب البريد مدرسة للشافعية "[٣]. " وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي "[٤].

أما المحاريب، فلكل مذهب محراب يخصه و" في قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية ـ وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ـ وفيه يؤم المالكية، وعن يمين المقصورة محراب الحنفية، وفيه يؤم إمامهم، ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم إمامهم "[٥]

[١] ـ ص ١٠٨ ج١ رحلة ابن بطوطة
[٢] ـ ص ١٨٦ رحلة ابن جبير
[٣] ـ ص ١٩٠ نفسه
[٤] ـ ص ١٩١ نفسه
[٥] ـ ص ١٠٥ رحلة ابن بطوطة

فـ"لكل إمام محراب: شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي، وهؤلاء إنما حدثوا بعد الوليد بزمان، وقد كره كثيرون من السلف مثل هذه المحاريب، وجعلوه من البدع المحدثة "[1] ففي سنة ٦١٧هـ " في هذه السنة نصب محراب الحنابلة في الرواق الثالث الغربي من جامع دمشق، وذلك بمساعدة الأمير ركن الدين المعظمي "[2] وفي سنة ٧٦٤هـ فتق ناظر الجامع الأموي في دمشق الصاحب تقي الدين سليمان بن مراجل " محراباً للحنفية في الحائط القبلي "[3]. وليس هذا فحسب، وكم من مساجد أصبحت لمذهب دون سواه، فمسجد عمرو بن العاص في الإسكندرية بمصر على سبيل المثال " هو مصلى الجمعة للمالكيين "[4] دون غيرهم. ولكم كان الصراع عنيفاً بين رجالات المذاهب للسيطرة على مسجد من المساجد أو رئاسته كالصراع بين الشيخ أحمد النفراوي والشيخ عبد الباقي القليني حوالي عام ١١٢٠هـ حول رئاسة الجامع الأزهر " وكان من أثر هذا الخلاف بين الشيخين أن نشب شجار عنيف بين المجاورين،

---

[1] - ص ١٤٤ ج٩ البداية والنهاية

[2] - ص ٩١ ج١٣ نفسه

[3] - ص ٣٠٤ ج١٤ نفسه

[4] - ص ٥٤ رحلة ابن جبير

واشتد بينهم العراك في المسجد، وسقط فيه بعض القتلى والجرحى "[1] وكذلك كان بين الشيخ " عبد الرحمن بن عمر العريشي الحنفي المتوفي عام ١١٩٣هـ وبين الشيخ أحمد العروسي المتوفي عام ١٢٠٨هـ. وقد اشتد الخلاف بين العريشي والعروسي واستمر عدة سنوات، وكثر العراك بين المجاورين "[2]. " وكان الكفر والشرك والبدعة أسلحة تُشهر بين هذه المذاهب "[3]. في صراعها الذي لا يهدأ. ولتكريس ديمومة الصراع المذهبي، تحولت قبور رجالات المذاهب إلى مدارس مذهبية، فقد تحول قبر الفقيه الحنفي أبي حفص الكبير المتوفي سنة ٢١٧هـ " إلى مدرسة منذ القرن الرابع الهجري ـ وقبر الفقيه الشافعي القفَّال الشافعي بطشقند بُنيت مدرسة التصقت به لتدريس المذهب ـ وفي بغداد أقيمت مدرسة على قبر أبي حنيفة عام ٤٥٧هـ، وفي القاهرة أقيمت على قبر الشافعي مدرسة عام ٥٧٥هـ "[4]. وهل بعد هذا الهوان للمساجد، ما يمنع اقتسامها في الصراع القبلي إن حدث؟ فلما بويع السفاح على الخلافة،

---

[1] ـ ص ٤٣ الأزهر

[2] ـ ص ٤٤ نفسه

[3] ـ ص ٢٢٣ أهل الإسلام

[4] ـ ص ١٧١ المجتمع الإسلامي الأول: الدولة الأنموذج

حاصر دمشق " فاختلف أهلها بين يمانية ومضرية، فجعلوا في كل مسجد محرابين للقبيلتين، حتى في المسجد الجامع جعلوا منبرين، وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين، وهذا من عجيب ما وقع"[١].

والطريف أنه لما اقترح المهدي والرشيد وحدانية المذهب على مالك بن أنس دفعاً للتشويش وطمعاً بشرع واحد لكل الدولة، رفض مالك هذا الاقتراح، ثم تم تقرير الاختلاف المزمن على أنه باب من أبواب الرحمة، وربما أن فكرة تعميم مذهب على المذاهب من حيث طبيعة مصادرها غير مجدية والأجدى خاصة في زماننا، طالما لم يعد للمذاهب تلك القيمة الحيوية إلا عند محترفي الدين المنتظرين للفتاوى المذهبية مقابل الأجر، أقول: الأجدى دراسة المذاهب بمصادرها ونهجها وأغراضها وما جدَّ على مدار الزمن لإيجاد تشريع موحد إن قرأه أي فرد من المسلمين، فهمه دون تشويش من أي تنازع مذهبي، وهل من مانع لهذا اللهم إلا تقديس السلف من رجالات المذاهب ؟ هذا ما يجب تجاوزه " وتلك أمة قد خلت ".

---

[١] - ص ٤٤ ج١ البداية والنهاية

ـ المساجد وإحداث المحاريب:

في البدء، لم يكن عند المسلمين محاريب في مساجدهم، رغم ذكره في القرآن، فقد كان " يُكتفى بوضع علامة، مثل اللواء تعين المكان الذي يقف فيه الإمام "[1] " وهناك ما يدل على أن المسلمين، استخدموا أحياناً خلال العصر الأموي، محاريب خشبية توضع في المكان المراد من جدار القبلة "[2].

ويقال: أن المحراب المجوف الأول في الإسلام كان في مسجد المدينة، وبعده كما يقول السيوطي في مسجد عمر لما تم توسيعه "[3] أما الثالث: فهو محراب الصحابة في الجامع الأموي حيث أُحدث زمان الوليد "[4] و" قال ابن لهيعة: سمعت أشياخنا يقولون، لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مجوف ـ وأول من جعل المحراب في مصر قرة بن شريك، وقال الواقدي: حدثنا محمد بن هلال، قال: أول من أحدث

[1] ـ ص ٧٨ المساجد

[2] ـ ص ٨٠ نفسه

[3] ـ ص ٦٨ الآثار الإسلامية الأولى

[4] ـ ص ٧٩ نفسه

المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز "[1] في مسجد المدينة لما كان أميراً عليها زمان الخليفة الوليد بن عبد الملك. وقيل أن عثمان بن عفان لما وسَّع مسجد الرسول صلى الله عليه مسلم " صنع له محراباً، وقيل: أن مروان هو أول من بنى المحراب "[2].

وبعد أن استقرت المحاريب في المساجد، اتجه أُولي الأمر إلى تزيينها وقد قيل عن الجامع الأموي: " أن محرابه من أعجب المحاريب الإسلامية حسناً وغرابة صنعة، يتقد ذهباً كله "[3]، وكما زينت بالذهب زينت كذلك بالعمامات الضخمة، ولما رأى ابن بطوطة في الإسكندرية قاضيها عماد الدين الكندي، قال: " وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم، لم أرَ في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها، رأيته مرة قاعداً في صدر محراب، وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب "[4].

---

[1] - ص ٨ ج٤ الخطط المقريزية

[2] - ص ١٣٦ ج١ رحلة ابن بطوطة

[3] ص ١٨٨ نفسه

[4] - ص ٣٨ نفسه

ـ المساجد والمقاصير:

المقاصير هي الأخرى من البدع التي ألحقت بالمسجد، وهي غرفة يجلس فيها الخليفة مع حراسه ليكون آمناً من الاعتداء عليه، وقد " ذكر عمر بن شيبة في تاريخ المدينة: إن أول من عمل مقصورة بلبن، عثمان بن عفان، وكانت فيها كوى تنظر الناس منها إلى الإمام، وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج "[١] وقيل: " أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني "[٢].

وقد قيل: " إن أول من اتخذها في الإسلام معاوية، وقد صارت سنة لملوك الإسلام بعد ذلك تمييزاً للسلطان عن غيره من الرعية "[٣] " هو أول من اتخذ المقصورة في المسجد لصلاة الجمعة"[٤]. ففي المؤامرة التي حاكها الخوارج سنة ٤٠ هـ، وقُتل فيها الإمام علي، وأصيب معاوية في إليته " أمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة

---

[١] ـ ص ٨ ج٤ الخطط المقريزية

[٢] ـ ص ٢٦ الآثار الإسلامية الأولى

[٣] ـ ص ٥ ج٤ صبح الأعشى

[٤] ـ ص ٤٧١ ج١ نفسه. ص ١٤٨ المهذب من تاريخ الخلفاء

على رأسه إذا سجد "[1]. عندها اتخذ معاوية المقصورة "[2] وهو أيضاً ما قاله اليعقوبي وابن خلدون، والأرجح أن معاوية هو أول من اتخذها، لما حدث له ولما له من حس أمني لا يقارن بعثمان أو بعمر بن عبد العزيز "وكانت المقاصير الأولى، مجرد حواجز خشبية، تحيط بجزء صغير من المسجد، عند جدار القبلة ـ ثم تطورت حتى أصبحت غرفاً قائمة بذاتها"[3]، ولما بنى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، مسجده سنة ٧١٨هـ جعل فيه " مقصورة من حديد "[4] وقد رافق وجود المقصورة في المسجد وجود ممر خاص من القصر إليها عند بعض الخلفاء، ففي مسجد قرطبة الكبير " شيد عبد الله ٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ ممراً مسقوفاً من قصره إلى باب في الجانب الغربي من المسجد، وقد قطع الشارع كالجسر، وبهذه الطريقة استطاع الذهاب مباشرة إلى المقصورة دون أن يراه الناس "[5].

---

[1] ـ ص ١٥٩ ج٣ تاريخ الأمم والملوك

[2] ـ ص ١٨٢ ج١ الإمامة والسياسة

[3] ـ ص ١٤٨ المساجد

[4] ـ ص ١٧٥ عـ١ عالم الفكر. الكويت

[5] ـ ص ٢٨٧ الآثار الإسلامية الأولى

وبفعل الوسواس الأمني امتد السلاطين بمعنى المقصورة إلى أشكال جد غريبة، يقول ابن بطوطة: " المسجد بمدينة صنوب من أحسن المساجد، وفي وسطه بركة ماء عليها قبة تقلها أربعة أرجل ـ وفوقها مجلس يصعد له على درج خشب، وذلك من عمارة السلطان بروانة ـ. وكان يصلي الجمعة بأعلى تلك القبة "[1] ولما طلب الخليفة العباسي " المهدي " التخلص من البدع التي رافقت المسجد " كتب سنة ١٦١هـ إلى الأفاق ألا تبقى مقصورة في مسجد "[2]. ولا بمسجد " من مساجد الأمصار "[3].

"وقال أبو العباس القرطبي في شرح مسلم: لا يجوز اتخاذها ولا يُصلىَّ فيها، لتفريقها الصفوف، وحيلولتها من المشاهدة ـ. وروي أن الحسن البصري وبكراً المزني كانا لا يصليان فيها، لأنها أُحدثت بعد النبي ﷺ "[4]، ولأنها تميز الناس بعضهم عن بعض وهذا يتنافى مع طبيعة المسجد التي أنشئ لها، حيث الناس كأسنان المشط

---

[1] ـ ص ٢٤٩ ج١ رحلة ابن بطوطة

[2] ـ ص ١٣٣ ج١٠ البداية والنهاية

[3] ـ ص ١٣ ج٤ الخطط المقريزية

[4] ـ ص ٩٣ المساجد

والمقصورة بالأساس، من مخلفات المعابد القديمة " فجميع المعابد، وثنية كانت أو مسيحية أو غير ذلك، عرفت المقاصير، لصلاة الخواص، أو العبَّاد والزهاد، والمعتكفين"[١].

ـ **المسجد والمنبر:** " لم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بُني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي "[٢] " فقال له الناس: يا رسول الله إنه قد كثر الناس وإنهم ليحبون أن يروك، فلوا اتخذت منبراً تقوم عليه ليراك الناس؟ قال: نعم "[٣] " فروي أن تميماً الداري رضي الله عنه هو الذي صنعه، وقيل أن غلاماً للعباس رضي الله عنه صنعه، وقيل غلاماً لإمرأة من الأنصار ـ وصُنع من طرفاء الغابة، وقيل الأثل، وكان له ثلاث درجات، فكان رسول الله ﷺ يقعد على علياهن، ويضع رجليه الكريمتين على وسطاهن "[٤] والأرجح " أن أول من عمل المنبر تميم الداري، عمله

---

[١] ـ ص ١٤٨ نفسه

[٢] ـ ص ٢١٩ ج٣ البداية والنهاية

[٣] ـ ص ١٣٠ نفسه

[٤] ـ ص ١٣٨ ج١ رحلة ابن بطوطة

للنبي ﷺ، وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام"[1]. وقال الواقدي: سنة سبع للهجرة " اتخذ رسول الله ﷺ، منبره درجتين ومقعده، قال: والثبت عندنا أنه عمل سنة ثمان "[2] " فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قعد على وسطاهن، وجعل رجليه على أولاهن، فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن، وجعل رجليه على الأرض، وفعل ذلك عثمان رضي الله عنه صدراً من خلافته، ثم ترقى إلى الثالثة "[3] أما معاوية وحيث أصبحت دمشق عاصمة مُلكه، فقد رغب أن يجعل من منبر الرسول ﷺ، رمزاً لشرعية الحكم، ولما حج كما يقول المسعودي " سنة خمسين، أمر بحمل منبر النبي ﷺ من المدينة إلى الشام، فلما حُمل كُسفت الشمس ورُؤيت الكواكب بالنهار، فجزع من ذلك وأعظمه، وردَّه إلى موضعه"[4] فأعظم الناس ذلك، فقال: لم أُرد حمله، إنما خفت أن يكون قد أرِض، فنظرت إليه، ثم كساه يومئذ"[5] وفي رواية أن أبا هريرة وجابر

---

[1] - ص ٤٧٩ ج١ صبح الأعشى

[2] - ص ٢٣٦ ج٤ البداية والنهاية. ص ١٤١ ج٢ تاريخ الأمم والملوك

[3] - ص ١٣٨ ج١ رحلة ابن جبير

[4] - ص ٢٠٩ ج٣ تاريخ الأمم والملوك

[5] - ص ٢٥ – ٢٦ ج٢ مروج الذهب. ص ١٣٨ ج١ رحلة ابن بطوطة

بن عبد الله نهياه عن ذلك، والأهم أن الناس قد ضجوا من فعلته، ولما خشي الفتنة أو الثورة اعتذر عن فعلته، ولكن لم يتركه لشأنه، بل " زاد فيه ست درجات"[1] أو" ست مراقي"[2] " من أسفله، فصار له تسع درجات بالمجلس، قيل: وصار طوله أربعة أذرع وشبراً"[3]

وعبد الملك بن مروان هو الآخر أراد نقل منبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دمشق، فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب، فكفَّ عنه، ولما أمر الوليد عمر بن عبد العزيز بنقله نهاه سعيد بن المسيب فتركه، وقيل: إن محاولات الأمويين نقل منبر الرسول ﷺ إلى دمشق، إنما ثأراً لدم عثمان من أهل المدينة ولا أظن ذلك. وقد وصف ابن جبير منبر الرسول بعد زيادة معاوية: " وارتفاع المنبر الكريم نحو القامة أو أزيد، وسعته خمسة أشبار، وطوله خمس خطوات، وأدراجه ثمانية، وله باب على هيئة الشباك مُقفل، يُفتح يوم الجمعة، وطوله أربعة أشبار ونصف شبر،

---

[1] - ص ٤٥ ج٨ البداية والنهاية

[2] - ص ٢٦ ج٢ مروج الذهب

[3] - ص ٢٩٣ ج٤ صبح الأعشى

والمنبر مغشَّى بعود الأبنوس، ومقعد الرسول ﷺ من أعلاه ظاهر، وقد طبق عليه بلوح من الأبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه"[١].

"ولما حجَّ المهدي بن المنصور سنة إحدى وستين ومائة، أراد أن يعيده إلى ما كان عليه، فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشية التهافت فتركه "[٢]. وفي نفس السنة " أمر المهدي، محمد ابن جعفر المنصور بتقصير المنابر، في جميع المساجد، وجعلها بقدر منبر النبي صلى الله عليه وسلم"[٣]

"وكتب بذلك إلى الأفاق فعُمل به"[٤] " ولكنها أعيدت بعد ذلك"[٥].

ولما حجَّ هارون الرشيد سنة ١٧٤هـ، شاور مالك بن أنس بإعادة منبر الرسول إلى ثلاث درجات كما كان، ويزيل ما زاده معاوية بن أبي سفيان، كما شاوره بنقله إلى بغداد، فلم يوافقه الرأي " فأطاعه الرشيد"[٦] " ويقال: إن المنبر الذي صنعه معاوية ورفع منبر النبي ﷺ عليه، تهافت

---

[١] - ص ١٤٢ رحلة ابن الجبير

[٢] - ص ٢٩٣ ج٤ صبح الأعشى

[٣] - ص ٨ ج٤ الخطط المقريزية

[٤] - ص ٥٦١ ج٤ تاريخ الأمم والملوك. ص ٢١٦ المهذب من تاريخ الخلفاء

[٥] - ص ١٣ ج٤ الخطط المقريزية

[٦] - ص ٢٠٩ ج٢ الإمامة والسياسة

علـى طـول الزمـان، وجـدَّده بعض خلفـاء بنـي العبـاس، واتُخـذ مـن بقايـا أعـواد منبـر النبـي ﷺ أمشـاطاً للتبـرك، ثـم احتـرق هـذا المنبـر لمـا احتـرق المسجد في مستهل رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أيـام المستعصم بـالله"[1].

أما " أول من اتخذ المنبر ـ في غير مسجد الرسول صلـى الله عليـه وسلم ـ فهو عمرو بن العاص، لما بنى مسجده بمصر ـ. فكتـب إليـه عمـر بن الخطـاب: أما بعد! فقد بلغنـي أنـك اتخـذت منبـراً ترقـى بـه علـى رقـاب المسلمين، أو ما يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبيك، فعزمـت عليك إلا ما كسرته"[2] " فكسره"[3] " ويقال: إنـه أعـاده إليـه بعد وفـاة أمير المؤمنين عمر رضـي الله عنـه"[4]، " وأول مـن دعـى للخليفـة علـى المنبـر ابن عباس، دعا لعلـي رضـي الله عنهمـا فـي خطبتـه وهو بـالبصـرة عامـل عليهـا"[5]، ولأهمية المنبر في الحرب والسياسة، فإن صلاح الدين لمـا فتح

---

[1] ـ ص ٢٩٣ ج٤ صبح الأعشى

[2] ـ ص ٢٧٠ مقدمة ابن خلدون

[3] ـ ص ٨ ج٤ الخطط المقريزية

[4] ـ ص ٣٨٣ ج٣ صبح الأعشى

[5] ـ ص ٢٧٠ مقدمة ابن خلدون

القدس سنة ٥٨٣هـ بعد أن احتلها الصليبيون ٩١ سنة " استدعى من حلب المنبر - الذي كان نور الدين زنكي رحمه الله قد اتخذه وأعده للقدس، قبل فتحه بنيف وعشرين سنة، وعُدَّ ذلك من كراماته وفعلاته المستحسنة"[١] . ووضعه بالمسجد الأقصى.

ـ المنابر وأنواع المساجد: خطبة الجمعة للوعظ والإرشاد عند عرب ما قبل الإسلام، كانت معروفة ومتداولة، فقد " كانت قريش في الجاهلية تجتمع إلى كعب بن لؤي بن غالب، وهو جد النبي ﷺ السابع في كل جمعة فيخطب فيه على قريش، فيقول على ما حكاه الزبير بن بكار: أما بعد فاسمعوا وافهموا - صِلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمروا أموالكم"[٢] " ويقال: هو الذي سمى يوم العَروبة يوم الجمعة"[٣] " وقيل في سبب تسمية يوم العَروبة بيوم الجمعة، أن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام، وللنصارى كذلك، فهلموا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه لذكر الله تعالى ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد

[١] - ص ١٥٧ ج٢ عيون الروضتين

[٢] - ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ج١ بلوغ الأرب

[٣] - ص ٣٧٣ ج١ نفسه

للنصارى، فاجعلوه يوم العَروبة، فاجتمعوا إلى سعد بن زرادة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكَّرهم، فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى سورة الجمعة، فهي أول جمعة كانت في الإسلام"[١]

فسعد أو أسعد حسب ابن هشام " كان أول من جمع بالمدينة، في هزم النبيت من حرة بني بياضة ـ وكانوا: أربعين رجلاً"[٢] "وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ، فهي لما قدم المدينة مهاجراً"[٣] وبوجود المنبر لخطبة الجمعة أصبحت المساجد على نوعين: "مساجد سلطانية ومساجد عامية. فأما المساجد السلطانية فهي المساجد والجوامع والمشاهد، وما عظُم وكثُر أهله التي يقوم السلطان بمراعاتها"[٤]. وهو الذي يعيِّن الخطباء والأئمة وإلى ما هنالك " وأما المساجد العامية التي يبنيها أهل الشوارع والقبائل في شوارعهم وقبائلهم فلا اعتراض للسلطان عليهم في أئمة مساجدهم وتكون الإمامة فيها لمن اتفقوا على

[١] ـ ص ٢٧٤ نفسه

[٢] ـ ص ٤٣٥ ج١ السيرة النبوية لابن هشام

[٣] ـ ص ٢٧٤ ج١ بلوغ الأرب

[٤] ـ ص ١٠٠ الأحكام السلطانية

الرضى بإمامته"[1] أما خطبة الجمعة فلم يكن من الجائز إقامتها في هذه المساجد إن وُجد المسجد الجامع في المدينة، ومذهب الشافعي يقول بـ " امتناع إقامة الخطبتين في بلد واحد"[2] "وذهب أبو حنيفة وأهل العراق إلى أن صلاة الجمعة لا تصح إلا بحضور السلطان أو من يستنيبه فيها، وذهب الشافعي رضي الله عنه وفقهاء الحجاز إلى أن التقليد فيها ندب، وأن حضور السلطان ليس بشرط فيها ـ وقال أبو حنيفة: تختص الجمعة بالأمصار، ولا يجوز إقامتها في القرى، واعتبر المصر بأن يكون فيه سلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الأحكام"[3] وفي مصر " لم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشيء من أرض مصر إلا في المسجد الجامع ـ وقد جاء نفر من بحافق إلى عمرو بن العاص، فقالوا: إنا نكون في الريف، أفنجمع في العيدين الفطر والأضحى ويؤمنا رجل منا؟ قال: نعم، قالوا: فالجمعة؟ قال: لا، ولا يصلي الجمعة بالناس إلا من أقام الحدود وأخذ بالذنوب وأعطى الحقوق"[4].

---

[1] ـ ص ١٠٢ نفسه

[2] ـ ص ١٣ الأزهر. ص ٥٥ ج٤ الخطط المقريزية

[3] ـ ص ١٠٣ الأحكام السلطانية

[4] ـ ص ٨ ج٤ الخطط المقريزية

ومضى الزمن وتعددت المساجد التي تقام فيها خطبة الجمعة في المدينة الواحدة، ففي سنة ٣٨٣هـ أمر الخليفة القادر بالله " بعمارة مسجد الحربية وكسوته، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطب وغيرها، وذلك بعد أن استفتى العلماء في جواز ذلك.

وقال الخطيب البغدادي بعدئذ: أدركت الجمعة تقام ببغداد في مسجد المدينة، ومسجد الرصافة، ومسجد دار الخلافة، ومسجد براثا، ومسجد قطيعة أم جعفر، ومسجد الحربية"[١].

أما في مصر " ففي سنة اثنين وثلاثين ومائة، أمر موسى بن نصير اللخمي، وهو أمير مصر - من قبل الخليفة الأموي مروان بن محمد - باتخاذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر"[٢]. وزمان القاضي تاج الدين الزبيري، أصبح " من الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر " المدينة" وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعاً"[٣].

[١] - ص ٣١٢ ج١١ البداية والنهاية

[٢] - ص ٣٨٣ ج٣ صبح الأعشى

[٣] - ص ١٧٠ ج٢ الخطط المقريزية

وكثر خطباء العي الذين لا هم لهم إلا طول وقوفهم على المنبر، فقد خطب مرة ربيعة الرأي، فأكثر وأعجبه إكثاره، فالتفت بعدها إلى أعرابي إلى جنبه " فقال له: ما تعدُّون البلاغة عندكم يا أعرابي؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب، قال فما تعدون العي؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم. فكأنما ألقمه حجراً"[1].

واختلف الفقهاء أصحاب المذاهب، في عدد الذين تقوم بهم الجمعة: فذهب الشافعي في أخرين معه إلى أن الجمعة لا تجب إقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعداً، وأقل من ذلك لا يجزى"[2].

" وقال الزهري ومحمد بن الحسن: تنعقد باثني عشر سوى الإمام.

وقال أبو حنيفة والمزني: تنعقد بأربعة أحدهم الإمام.

وقال الليث وأبو يوسف: تنعقد بثلاثة أحدهم الإمام.

وقال أبو ثور: تنعقد باثنين كسائر الجماعات.

وقال مالك: لا اعتبار بالعدد في انعقادها"[3]

---

[1] ـ ص ١٩٠ ج٣ العقد الفريد

[2] ـ ص ٢٧٩ ج٢ مروج الذهب

[3] ـ ص ١٠٣ الأحكام السلطانية

وبرأيي أن هذا ليس باختلاف، إنما هو البحث لإيجاد الاختلاف وإلا فكيف يكون المذهب لأحدهم إن لم يخالف سواه وهذا هو ديدن أصحاب المذاهب على الدوام صغُرت قضاياهم أم كبُرت.

الخلفاء خطباء وأئمة في المساجد: الخطابة أو الإمامة " كان ذلك في الزمن المتقدم مختصاً بالخلفاء والأمراء بالنواحي"[1]. فالخلفاء الأوائل والخلفاء الراشدين منهم كانوا أئمة مساجدهم، وقُتل بعضهم في المسجد "ولما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفُّع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم، استنابوا في الصلاة"[2] وقد كان الخليفة الفاطمي " يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس: في جامع القاهرة، وفي جامع الخطبة، وفي جامع عمرو بن العاص"[3]. " وأما المسجد الجامع العتيق بمصر، فكان يلي إمامته في الصلوات الخمس، والخطابة فيه يوم الجمعة، والصلاة بالناس صلاة الجمعة أمير البلد ـ وكان الأمير يستخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة إذا شغله أمر،

---

[1] ـ ص ٤٣٦ ج٥ صبح الأعشى

[2] ـ ص ٢٢٠ مقدمة ابن خلدون

[3] ـ ص ٤٤٥ ج٢ الخطط المقريزية

ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن وُلي مصر عنبسة بن اسحاق بن شمر من قبل المستنصر بن المتوكل على الصلاة والخراج سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وأقام إلى سنة اثنين وأربعين ومائتين، وصُرف، فكان آخر من ولي مصر من العرب، وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع، وصار يصلي بالناس رجل يُرزق من بيت المال، وكذلك المؤذنون ونحوهم"[1]. وقد كان الخليفة الراضي بالله المتوفي سنة ٣٢٩هـ " هو آخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة"[2]

طقوس الخلفاء وخطبة الجمعة: للخطابة دور هام عند عرب ما قبل الإسلام، فقد كانوا " يتخذونها في السِّلم أداة للمفاخرة والمنافرة، ويصطنعونها في الحرب لتثبيت الجنان وتحميس الجبان"[3]. كما كانوا يشترطون في الخطيب " السيادة في القوم، والكرم في الخلق، والفعل بما يقول - وكان من عادته أن يقف على نشر مرتفع معتجراً بعمامته،

---

[1] - ص ٨٦ – ٨٧ ج٤ الخطط المقريزية

[2] - ص ١٩٧ ج١١ البداية والنهاية

[3] - ص ٧٧ أنساب العرب

قابضاً بيده على سيف أو عصا ـ ومنهم من كان يمسك العصا بالسلم، والقوس في الحرب"[1].

أما في الإسلام فقد أصبحت طقوس الخطابة أكثر تعقيداً وأشد رمزاً وأطول مهابة، ففي مكة كما وصف ابن جبير وابن بطوطة، يُؤتى بالمنبر وهو على أربع بكرات، ثم " يقبل الخطيب، لابساً ثوب سواد مرسوماً بذهب، ومتعمماً بعمامة سوداء مرسومة أيضاً، وعليه طيلسان شرب رقيق يرفل فيها، كل ذلك من كساء الخليفة التي يرسلها إلى خطباء بلاده ـ وعليه السكينة والوقار، يتهادى رويداً بين رايتين سوداوين يمسكهما رجلان من قوَّمه المؤذنين وبين يديه ساعياً أحد القوَّمة، وفي يده عود مخروط أحمر قد رُبط في رأسه مرسى الأديم المفتول، رقيق الطول، في طرفه عذبة صغيرة، ينفضها بيده في الهواء نفضاً، فتأتي بصوت عال يسمع من داخل الحرم وخارجه، كأنه إيذان بوصول الخطيب، لا يزال في نفضها إلى أن يقرب من المنبر، ويسمونها الفرقعة.

---

[1] ـ ص ٧٨ نفسه

فإذا قرب من المنبر عرج إلى الحجر الأسود فقبله ودعا عنده، ثم سعى إلى المنبر، والمؤذن الزمزمي ـ أي رئيس المؤذنين بالحرم ـ ساعياً أمامه، لابساً ثياب السواد أيضاً، وعلى عاتقه السيف يمسكه بيده دون تقلد له، فعند صعوده في أول درجة، قلده المؤذن المذكور السيف، ثم ضرب بنعلة سيفه فيها ضربة أسمع بها الحاضرين، ثم في الثانية، ثم في الثالثة، فإذا انتهى إلى الدرجة العليا ضرب ضربة رابعة، ووقف داعياً مستقبل الكعبة بدعاء خفي، ثم انفتل عن يمينه وشماله، وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيرد الناس عليه السلام. ثم يقعد ويبادر المؤذنين بين يديه في المنبر بالآذان على لسان واحد، فإذا فرغوا قاموا للخطبة، فذكر ووعظ وخشع فأبلغ، ثم جلس الجلسة الخطيبية، وضرب بالسيف ضربة خامسة، ثم قام للخطبة الثانية، فأكثر بالصلاة على محمد ﷺ ـ ثم دعا للخليفة العباسي ـ ثم لأمير مكة ـ ثم لصلاح الدين الأيوبي"[١] " وفي أثناء الصلاة تركز الرايتان السوداوان في أول درجة من المنبر، ويمسكهما رجلان من المؤذنين، وفي جانبي باب المنبر حلقتان تلقى الرايتان فيهما مركوزتين، فإذا فرغ من الصلاة خرج

---

[١] ـ ص ٨٠ – ٨١ رحلة ابن جبير

والرايتان عن يمينه وشماله، والفرقعة أمامه على الصفة التي دخل عليها ـ ثم يُعاد المنبر إلى موضعه بإزاء المقام"[1]. ونفس الطقوس كانت تجرى في مصر زمان المستضيء بالله"[2].

أما طقوس الخليفة الفاطمي في مصر فقد أصبحت على شأن آخر ورمزية خاصة، وكان يأتي إلى المسجد بموكب عظيم، فيجلس في المقصورة " فإذا أُذن للجمعة، دخل قاضي القضاة، فقال: السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله ـ فيصعد المنبر حتى يصل إلى الذروة تحت القبة المبخرة، والوزير على باب المنبر ووجهه إليه، فإذا استوى جالساً أشار إلى الوزير بالصعود، فيصعد إلى أن يصل إليه، فيقبِّل يديه ورجليه بحيث يراه الناس"[3]. وهكذا في صلاة العيدين. ورغم ذل هذا الوزير أمام الملأ كله، فهو محسود على رزقه " فراتب الوزير في كل شهر خمسة ألاف دينار "، ومن يليه من ولد أو أخ من ثلاثمائة دينار إلى مائتي دينار"[4].

---

[1] ـ ص ٨٢ نفسه. ص ١٧٩ – ١٨٠ ج١ رحلة ابن بطوطة

[2] ـ ص ٥١ – ٥٢ رحلة ابن جبير

[3] ـ ص ٥٨٤ ج٣ صبح الأعشى. ص ٦٤ ج٤ الخطط المقريزية

[4] ـ ص ٥٩٨ ج٣ صبح الأعشى

ومن أجل المال، جلس الخطيب بين الخطبتين، في مسجد الرسول بالمدينة زمان ابن جبير، فأطال الجلوس، واندفع أصحابه يجمعون الكدِّية من الحضور " فاجتمع له من ذلك السحت المؤلف كوم عظيم أمامه، فلما أرضاه قام وأكمل الخطبة وصلى بالناس، وانصرف أهل التحصيل، باكين على الدين"[1]. الذي أصبح فيه الخطيب كاهناً يجيّر الدين لنفعه ومآربه.

---

[1] - ص ١٤٨ رحلة ابن جبير

ـ الخاتمة:

لقد روى لنا القرآن أخباراً مما قبل التاريخ، عن بعض الأنبياء والشعوب، منهم آدم الذي لا اختلاف في نبوته عند المسلمين، وهو الكائن البشري الأول على الأرض، وكل الأنبياء والرسل كانوا على الإسلام أو التوحيد، فالتوحيد هو السابق للشرك الذي تم إدراكه في التاريخ، فقصة آدم ليست حكاية لتروى، إنما لتكون القيِّمِ على الفهم الصحيح للتطور الحضاري.

النبوة نواة لا بد يعتريها مع مرور الزمن زيادة ونقص وتحريف ولكنها لن تموت، وبالذاكرة الشعبية ستعود تارة أخرى، ولكنها غامضة أو مشوهة، فقد كان للأنبياء بيوت يعبدون الله فيها، وواحدها يسمى بيت الله، ومن خلال تجربة العقل الإحيائية التي أدت إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد، انتقل معنى البيت من المعنى المجازي إلى المعنى الوجودي، وأصبح بيت الله هو البيت الذي يسكنه الإله على الحقيقة، وتأكيداً على المعنى الوجودي ربطاً بالحلول، كانت الأوثان والتماثيل التي تسكنها الآلهة، ويا له من انحراف عظيم، فلا اليهودية استطاعت تقويم اعوجاجه ولا استطاعت المسيحية أن تتحرر من البيئة التي وجدت فيها. والسبب

في ذلك أن انحراف النبوة كان ناتجاً عن الذين أرخوا لها، ولهذا السبب كانت معجزة حفظ القرآن، وهكذا نجت تعاليم الله من التحريف، ومهما اختلف المسلمون في بدعهم وأراءهم، لا بد للأصل أن يحكم عليهم، وأصبح من المحال إحداث أي انحراف إلا بالخروج من الدين، والمسألة عندها لا بد على شأن مختلف.

الكاهن هو النواة في كل أديان ما قبل الإسلام، وهو الممثل للذاكرة الشعبية، أو هو الصانع لتلك الأديان، ومن شعوره بالنقص في الاستعادة، ولتجاوز هذا النقص استعان بجعل المعبد على جلال لا نظير له، ضخامة وزينة، طقوس وثياب، كما استعان بالفن بكافة أصنافه: تمثيل، نحت وتماثيل، موسيقى وغناء ورقص، شعر وأساطير، رسوم ونساء وعهر. ولما اطمأن إلى سيادته، سخَّر كل شيء لنفعه ومكاسبه فهو الوسيط بين الآلهة والبشر، وبيده مفاتيح الجحيم والنعيم، ومن أرضاه رضي الآلهة عنه وأعانوه دنيا وآخرة.

وبمجيء الإسلام قمة التطور الحضاري وقمة الإصلاح، كان طرد الكاهن عن المسجد، فلا كهانة في الإسلام، ومن أجل الإصلاح كان التضييق الإجرائي على النحت والشعر والرسم والموسيقى، وليس بعدها

من طبقة ترضع خيرات المؤمنين، وبتوحيد لا إله إلا الله، كان اندحار توحيد لا موجود إلا الله الذي كان عنه الحلول والإتحاد عماد الفكر الوثني بكل أشكاله وألوانه.

القرآن، النبوة أو السنة، هما نواة الإسلام، والجميع زمان الرسول ﷺ كانوا بحكمهما، وتلك هي القمة في التطور الحضاري، ولكنه الزمن، ولا بد للإنسان أن يتدخل، تبعاً لاختلاف الظروف والحاجات، فكانت المستحسنات، وبالتعلق بالموروث الموجود في الذاكرة كانت السيئات، وانقسم التجديد أصولاً إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة. ومن المستحسنات اتخاذ الصوامع أو المنائر مما قبل الإسلام لتكون مآذن ومنها أيضاً فرش المساجد وتنويرها، واستعمال مكبرات الصوت، وتعميم خطب الجمعة، وإلى ما هنالك.

أما السيئات فأخطرها محاولة تحريف المسجد إلى طبيعة المعبد الوثني، وإعادة الكاهن الوثني إلى المسجد تارة أُخرى، والعودة إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد، فكانت زوايا أهل التصوف بما فيها من رقص وغناء وموسيقى، كبديل عن المسجد لماًّ عجزوا عن الهيمنة على المسجد، وأولياؤهم أصبحوا يقومون بدور الكاهن في الشفاء من

الأمراض والتنبؤ بالمستقبل، والواسطة بين الناس والبشر، حتى زعموا حلول الله فيهم أو اتحاده بأجسادهم، وأصبحوا هم الناطق الرسمي باسم الإله لا فرق في هذا بين تشريع واعتقاد.

أما السيئات الأخرى التي التحقت بالمساجد، فهي انقسام المسلمين تبعاً لمذاهبهم في الصلوات والآذان، حتى حقَّ قوله تعالى فيهم: **"وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى "** كما انقسموا بين حاكم ومحكوم، بين عوام وخواص في بيت الله من خلال ما تعنيه المقاصير التي أُلحقت بالمساجد.

فانحراف بيوت الله إلى المعابد، ومما قبل التاريخ إنما كان عن وجود المستفيد من الدين والصراع السياسي الذي يعتمد الفرقة، واختلاف المستحسنات بين البشر لاختلاف عقولهم وحاجاتهم وما استجدَّ عليهم. وإلى الله قصد السبيل.

تم بعون الله تعالى في
٢٠٠٦/٩/١٣
عمر لطفي النجار

- المراجع:

١- القرآن الكريم

٢- الكتاب المقدس

٣- المقدس والدنيوي رمزية الطقس والأسطورة: تأليف: مرسيا إلياد، ترجمة نهاد خياطة ط١ ١٩٨٧

٤ـ المدن الأولى: تأليف فاليري غولاييف. ترجمة طارق معصراني دار التقدم، موسكو ١٩٨٩.

٥- البداية والنهاية: تأليف ابن كثير ط٢ ١٩٩٠ مكتبة المعارف، بيروت.

٦- الآثار الكلاسيكية: تأليف الدكتور مفيد رائف العابد ط١ ١٩٨١ دمشق.

٧- الآرامية تاريخاً ولغة وفناً: تأليف الدكتور علي أبو عساف، دار الأماني.

٨- الآثار الرومانية: تأليف الدكتور محمد الزين ١٩٨١ دمشق.

٩- المجادلة الحضارية: تأليف عدنان بن ذريل، دمشق ١٩٧٤.

١٠ـ **الخطط المقريزية:** تأليف أحمد المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨

١١ـ **الديانات السورية القديمة:** تأليف رنيه دوسو، ترجمة موسى ديب الخوري طـ١ ١٩٩٦ دمشق.

١٢ـ **المعتقدات الدينية لدى الشعوب:** عـ١٧٣ عالم المعرفة، تأليف جفري بارندر، ترجمة د. امام عبد الفتاح إمام.

١٣ـ **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير:** تأليف د. رمزي نعناعة طـ١ ١٩٧٠

١٤ـ **المساجد:** عـ٣٧، عالم المعرفة، الكويت.

١٥ـ **الأحكام السلطانية والولاية الدينية:** تأليف أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨.

١٦ـ **الجامع لأحكام القرآن:** تأليف القرطبي.

١٧ـ **الأزهر**: تأليف فوللرس وجومييه، ترجمة لجنة الترجمة في دار المعرف الإسلامية طـ١ ١٩٨٤، دار الكتاب اللبناني، كتب دائرة المعارف الإسلامية عـ١٢.

١٨ـ **الفرق بين الفِرق:** تـأليف عبد القـاهر البغدادي، تحقيق لجنـة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٧.

١٩ـ **المجتمـع الإسـلامي الأول،** الدولـة الأنمـوذج، مجلـة المسـطلق عـ ٨٢، ٨٣، ١٩٩١.

٢٠ــ **الآثــار الإســلامية الأولــى:** تــأليف ك. كريزويـل، نقلـه إلـى العربية عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٤.

٢١ـ **العقد الفريد:** تأليف أحمد بن محمد عبد ربه، دار الأندلس، لبنـان ١٩٩٦.

٢٢ـ **المهذب من تاريخ الخلفاء:** تأليف جلال الدين السيوطي، دار الألباب تحقيق نايف العباس طـ١ ١٩٩٠.

٢٣ـ **الإمامـة والسياسـة:** تـأليف ابـن قتيبـة الـدينوري، تحقيق علـي شيري منشورات الشريف الرضي.

٢٤ـ **السياسة:** تأليف أرسطو طـاليس، ترجمـة أحمد لطفـي السيد، الدار القومية

للطباعة والنشر.

٢٥ـ **المعبد السوري:** تأليف جان ماري دنتز، ميشيل غافليكوفسكي. ترجمة: موسى ديب الخوري. دمشق طـ١ .١٩٩٦

٢٦ـ **الأصول الكنعانية للمسيحية:** تأليف فايز مقدسي طـ١ ١٩٩٦. دمشق.

٢٧ـ **الحياة الدينية في سوريا، قبل الإسلام:** العصر الهليني والروماني. تأليف خ. تكسيدور و: ب. كانيفه. ترجمة موسى ديب الخوري.

٢٨ـ **الزواج عند العرب:** في الجاهلية والإسلام: تأليف الدكتور عبد السلام الترمانيني عـ٨٠ عالم المعرفة. الكويت.

٢٩ـ **المدينة الفاضلة عبر التاريخ:** تأليف: ماري لويزا برنيري. ترجمة: د. عطيات أبو السعود. عـ٢٢٥ عالم المعرفة. الكويت.

٣٠ـ **اليابانيون عـ١٣٦ عالم المعرفة. الكويت:** تأليف أدوين رايشاور ترجمة ليلى الجبالي.

٣١ـ **الدولة السلوقية:** ملوك سوريا السلوقيين. تأليف: ي. ديكرمان ترجمة د. حسان اسحق. طـ١ ١٩٩٣ دمشق.

٣٢ـ **آلهة الثالوث الشمسي:** بعلبك وهياكلها: تأليف هنري سبريغ. ترجمة موسى ديب الخوري طـ١ ١٩٩٦ دمشق.

٣٣ـ **أهل الإسلام:** تأليف لويس غارديه. ترجمة صلاح الدين برمدا منشورات وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨١.

٣٤ـ **أبحاث في الجزيرة العربية:** الجنوبية قبل الإسلام. تأليف: ماكسيم رودنون، كريستيان روبان، جيوفاني غاربيني، فرانكو ريتشي. ترجمة د. نجيب غزاوي. طـ١ ١٩٩٦ دمشق.

٣٥ـ **آثار الوطن العربي القديم:** تأليف الدكتور سلطان محيسن، دمشق ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩.

٣٦ـ **أخبار الزمان:** تأليف علي بن حسين بن علي المسعودي، دار الأندلس بيروت طـ٤ ١٩٨٠.

٣٧ــ **أديان العرب قبل الإسلام:** تأليف الأب جرجس داود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨١.

٣٨ـ **أميرات سوريات حكمن روما:** تأليف جود مزي تورتون، ترجمة خالد اسعد عيسى وأحمد غسان سبانو طـ١ ١٩٨٧.

٣٩ـ **ألالاخ مملكـة منسـية:** تـأليف ليونـارد وولـي، ترجمـة فهمـي الدالاتي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٣.

٤٠ـ **أحكـام الـذميين والمسـتأمنين:** تـأليف الـدكتور عبـد الكـريم زيدان، مؤسسة الرسالة طـ٢ ١٩٨٢.

٤١ـ **أنساب العرب:** تأليف سمير عبد الرزاق القطبي، بيروت، دار مكتبة الحياة.

٤٢ـ **أديب الأسطورة عند العرب:** تـأليف فـاروق خورشيد، عـالم المعرفة عـ ٢٨٤

٤٣ـ **أهل الإسلام:** تـأليف لـويس غارديـه، ترجمـة صـلاح الـدين برمدا

، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨١.

٤٤ـ **بلاد ما بين النهرين:** تـأليف ل. دولابورت، تعريب مـارون الخوري، دار الروائع الجديدة ١٩٧١.

٤٥ـ **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب:** تـأليف محمود شكري الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦ـ **بدائع الزهور في وقائع الدهور:** تأليف محمد بن أحمد بن إياس، دمشق، دار الكوثر.

٤٧ـ **مجلة عالم الفكر عـ٤ ١٩٨٢، الكويت.**

٤٨ـ **مجلة عالم الفكر عـ١ ١٩٨٠، الكويت.**

٤٩ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر:** تأليف علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس، بيروت طـ٤ .١٩٨١

٥٠ـ **معالم حضارات العالم القديم:** تأليف الدكتور نعيم فرح، دار الفكر .١٩٧٣

٥١ـ **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم:** تأليف محمد حرب فرزات ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ دمشق.

٥٢ـ **ما قبل الفلسفة:** تأليف هـ. أمزانكفورت، جون.أ. ولسن، توركيلد جاكوبسن، فرانكفورت، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بيروت .١٩٦٠

٥٣ـ **مصر الفراعنة:** تأليف سير ألن جارنر، ترجمة الدكتور بخيت ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب .١٩٧٣

٥٤ـ ماري: تأليف اندريه بارو، ترجمة الدكتور رباح نفاخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٩.

٥٥ـ من عيون الأنبياء في طبقات الأطباء: تأليف ابن أبي أصيبعة، وزارة الثقافة دمشق.

٥٦ـ مقدمة ابن خلدون: تأليف ابن خلدون، دار القلم، بيروت طـ٥ ١٩٨٤.

٥٧ـ تاريخ ثمود: تأليف د. ألبيرنان دين براندن. ترجمة د. نجيب غزاوي. طـ١ ١٩٩٦ دمشق.

٥٨ـ تاريخ بلاد الشام: القديم تأليف أحمد علي طـ١ ١٩٩٨

٥٩ـ تراث الإسلام: عالم المعرفة جـ١ عـ٢٣٣

٦٠ـ تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة: تأليف اندريه ايمار وجانين أوبوابه، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريان، منشورات عويدات، لبنان، طـ١ ١٩٦٤.

٦١ـ تاريخ سوريا الحضاري القديم. المركز: تأليف الدكتور أحمد داود، طـ٢ ١٩٩٧.

٦٢ـ **تاريخ العلوم عند العرب:** تأليف الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧.

٦٣ـ **تاريخ الأمم والملوك:** تأليف محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧.

٦٤ـ **علم الفلكلور:** تأليف الكزاندر هجرتي كراب، ترجمة رشدي صالح القاهرة ١٩٦٧.

٦٥ـ **عرائس المجالس:** تأليف أبو اسحاق الثعلبي، المكتبة الثقافية، بيروت.

٦٦ـ **رسائل إخوان الصفا وخلاَّن الوفا:** دار صادر، بيروت.

٦٧ـ **رحلة ابن بطوطة:** تحقيق الدكتور على المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، طـ١ ١٩٧٥.

٦٨ـ **رحلة ابن جبير:** تأليف أحمد بن جبير الأندلسي، دار الكتاب اللبناني.

٦٩ـ **سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين:** تأليف محمد سعيد العرفي، مؤسسة الرسالة، طـ٢ ١٩٦٦.

٧٠ـ **حياة الحيوان الكبرى:** تأليف كمال الدين الدميري، طـ٢، منشورات الرضى، قم، مطبعة أمير.

٧١ـ **كتاب الحيوان للجاحظ:** دار صعب، بيروت، طـ٣ .١٩٨٢

٧٢ـ **خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا:** تأليف حبيب الزيات.

٧٣ـ **قصائد أوغاريتية:** فايز مقدسي، طـ١ ١٩٩٧، دمشق.

٧٤ـ **لغز عشتار:** تأليف فراس السواح، طـ٢ .١٩٨٦

٧٥ـ **صبح الأعشى:** تأليف محمد بن علي القلقشندي، دار الفكر، طـ١ ١٩٨٧.

٧٦ـ **جذور الإستبداد:** عالم المعرفة عـ١٩٢، الكويت.

٧٧ـ **فجر العلم الحديث:** عـ٢١٩، عالم المعرفة، الكويت.

٧٨ـ **فجر العلم الحديث:** عـ٢٢٠، عالم المعرفة، الكويت.

- الفهرس:

- المقدمة:... ٣
ـ طقوس بناء المعابد: ٥
ـ ضخامة المعابد..................................... ١٠
ـ تماثيل الحراسة.................................... ١١
ـ المعبد بيت الله..................................... ١٣
ـ المعبد لأكثر من إله: ٢٠
ـ خوارق التماثيل.................................... ٢١
ـ المعبد والشعب ٣٠
ـ مراتب الكهنة واختصاصهم ٣٤
ـ ثروات المعابد والكهنة............................. ٣٧
ـ الكهنة والملوك..................................... ٤٠
ـ المعابد والغناء..................................... ٤٣
ـ الملوك وبناء المعابد............................... ٤٦
ـ المعبد والبغاء المقدس............................. ٤٩
ـ القرابين والمذبح ٥٨

ـ الأشكال الخارجية للمعابد ٥٩
ـ الدور الاجتماعي للمعابد: ٦٢
ـ خلاصة حول طبيعة المعبد ٧٢
ـ المعبد عند اليهود: ٧٤
ـ اليهود بين التوحيد وتعدد الآلهة.................................... ٧٤
ـ طقوس بناء المعابد ٧٥
ـ مكونات المعبد اليهودي.................................... ٧٦
ـ الكهنة والملوك.................................... ٨٥
ـ المعبد اليهودي بيت سكن للرب.................................... ٨٧
ـ المعبد اليهودي وتمثال الرب: ٩٠
ـ الكهنة وطعام الرب: ٩٢
ـ الكنيسة والمعبد الوثني.................................... ٩٥
ـ الكعبة والمعابد:.................................... ١٠٢
ـ مكة والبيت المحرم.................................... ١٠٤
ـ الكعبة والعبادة زمان إبراهيم.................................... ١٠٦
ـ الكعبة ومقام إبراهيم.................................... ١١٥

ـ الكعبة وعرب ما قبل الإسلام............................ ١١٧
ـ المسجد وحضارة الإسلام: ١٢١
ـ بساطة المسجد النبوي..................................... ١٢٥
ـ المسجد والصلاة على الموتى ١٣٦
ـ المسجد مرصد فلكي ١٣٦
ـ التسول وأقذار المجاورين.................................. ١٣٦
ـ المسجد والدكاكين... ١٣٨
ـ المسجد والخطَّابات.. ١٣٨
ـ المسجد لإعلان الاكتشاف الطبي ١٣٨
ـ المسجد مقر رئيس الحسبة: ١٣٩
ـ القصاصون والوعاظ والمسجد.............................. ١٣٩
ـ التجاور بين المسجد والكنيسة ١٤٣
ـ أنواع المساجد... ١٤٣
نفقات المساجد ١٤٥
نزول عيسى بالجامع الأموي.................................. ١٤٧
المساجد والمدارس... ١٤٨

ـ الذهب وزينة المساجد.................................. ١٥٢
ـ المساجد وزوايا أهل التصوف............................ ١٥٨
المساجد والغناء:.. ١٦٣
ـ المآذن والآذان في المساجد ١٦٦
ـ الصراع المذهبي والآذان ١٧٢
ـ المساجد واختلاف مذاهب المصلين..................... ١٧٨
ـ المساجد وإحداث المحاريب: ١٨٥
ـ المساجد والمقاصير:....................................... ١٨٧
ـ المسجد والمنبر: ١٩٠
ـ المنابر وأنواع المساجد ١٩٥
الخلفاء خطباء وأئمة في المساجد:.......................... ٢٠٠
طقوس الخلفاء وخطبة الجمعة.............................. ٢٠١
- الخاتمة:... ٢٠٦
- المراجع:... ٢١٠
- الفهرس:.. ٢٢٠